الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٤٢٧٩٤ ٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الإشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج . ع . م .

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

أثر الأدب في نهضة العرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

- ٢ -

قلت في المقال السابق ان الأمة العربية في تاريخها الطويل الحفيل لم يكن لها غير نهضتين :

نهضة في القرن السادس كانت بالدين انطلاقا من الجهل ، ونهضة في القرن العشرين كانت بالعلم انبعاثا من الموت • وكان الأدب في كلتا النهضتين كما قررنا هو الباعث الأول • كان في الأولى ومضة المنارة التي تذهب الضلال ، وكان في الأخرى نفخة الصور التي تسبق البعث • فكيف كان العرب بعد أن تقدموا وقدموا الدنيا ، وكيف صاروا بعد أن تأخروا وأخروا الدين ؟

كان العرب في القرن الرابع للهجرة قد بلغوا من السلطان والعمران ما لم تبلغه من قبلهم أمة • كانت لهم في عصر واحد ثلاث خلافات تشع الحرارة والنور في القارات الثلاث : خلافة العباسيين ذات العلم الأسود ببغداد في آسيا ، وخلافة الفاطميين ذات العلم الأبيض بالقاهرة في أفريقيا ، وخلافة الأمويين ذات العلم الأخضر بقرطبة في أوربا ، وكان العالم القديم كله من شرقه الى غربه يعيش في ظلال هذا الملك العظيم خاضعا للعرب الحاكمين خضوع الجيش للقائد أو القافلة للدليل • فلما أخلد العرب الى الترف ، وفقدوا بالانقسام والخصام والترف قوة الاتحاد ، وقوة السلطان ، وقوة الدين ، وقوة العلم ، أصبحت ديارهم وآثارهم نهبا مقسما بين المغول والترك والفرس والجركس والأسبان • وفعل التتار في العراق ، والصليبيون في الشام ، والفرنج في الأندلس ، ما تفعله الزلازل والبراكين بالعمران المزدهر • ثم انحصر العالم العربي في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد في العراق وسورية وبلاد العرب ومصر والسودان والمغرب • وآل السلطان والحكم فيه الى الدولة العثمانية سنة ١٥١٦ م فحكمته بالعسف والقهر ، وأذلته بالجهل والفقر ، وفرقت بين أجزائه بالعزل والقطيعة ، وطردت اللغة العربية من الدواوين حتى من محاكم الشريعة ، واستعملت التركية في التعليم حتى في دروس النحو ! ثم انقطع ما بين العرب والدين الصحيح والأدب الحر فاعتراهم ما يشبه الخدر في الحواس فلم يشعروا بالوجود ولم يحفلوا بالحياة ، حتى غشى الأرض ما غشى من طغيان عبد الحميد ، وقاست العروبة ما قاست من اضطهاد الأتراك ، فأخذ تاريخ المجد العربي يثور في رءوس بعض الزعماء والقادة ، ومأثور الأدب العربي يحيا في نفوس بعض الشعراء والكتاب •

وانبعثت من وراء الرقابة الشديدة والجاسوسية اليقظة أصوات الأدباء تهيب فى خفوت وحذر بالراقدين أن يهبوا ، وبالقاعدين أن ينهضوا . وسمع الناس أول ما سمعوا صرخات العرب المسيحيين لسوء سياسة الترك فيهم ، وقسوة الحكام عليهم كفتح الله مراش ، ورزق الله حسون ، وأديب اسحق ، وابراهيم اليازجى صاحب البائية المشهورة التى نظمها فى سنة ١٨٩٦ م مطلعها :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب ... فقد طمى السيل حتى غاصت الركب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم ... تستغضبون ولا يبدو لكم غضب
ألستم من سطوا فى الارض واقتحموا ... شرقا وغربا وعزوا أينما ذهبوا
فما لكم ويحكم أصبحتم هملا ... ووجه عزكم بالهون منتقب
لا دولة لكم يشتد أزركم ... بها ولا ناصر للخطب ينتدب
اقداركم فى عيون الترك نازلة ... وحقكم بين أيدى الترك مغتصب

والقصيدة كلها على هذا النسق من استنهاض العزائم لاسترجاع المجد الذاهب ، واسترداد الحق المغصوب . وهى مثل لما كانت تنشره الصحف وترويه المجالس فى مهاجر الأحرار بمصر واوربا وامريكا . وكانت هذه الصيحات المذكرة المنذرة تجد تشجيعا من مدحت باشا والى تركية على العراق ثم على سورية ، لأنه كان يطمع فى أن يستقل بالشام كما استقل محمد على بمصر . فقويت حركة الاصلاح واتسعت دائرة المعارضة ، واشترك فيها المسيحيون والمسلمون على سواء . ونهض يومئذ المصلح الحلبى العظيم الشيخ عبد الرحمن الكواكبى المتوفى سنة ١٩٠٢ م فألف كتابيه القيمين: « طبائع الاستبداد » و « أم القرى » دعا فى الأول الى تحرير المجتمع العربى من العادات الضارة والاعتقادات الفاسدة . ودعا فى الآخر الى خلافة عربية يكون مقرها جزيرة العرب . فكان لهذين الكتابين أثر قوى فى انعاش الفكرة العربية ، قطع الترك على المؤلف من جرائهما كل سبيل وشردوه فى كل أفق .

ثم تجاوبت بأناشيد الذكرى والألم والأمل صيادح الشعر على ضفاف دجلة وبردى والأردن . فيقول الرصافى من قصيدة عنوانها : « تنبيه النيام » :

عجبت لقوم يخضعون لدولة ... يسوسهم فى الموبقات عميدها
وأعجب من ذا انهم يرهبونها ... وأموالها منهم ومنهم جنودها

ويقول الزهاوى من قصيدة نظمها فى سنة ١٨٩٧ :

لقد عبثت بالشعب أطماع ظالم ... يحمله من جوره ما يحمل
فيا ويح قوم فوضوا أمر نفسهم ... الى ملك عن فعله ليس يسأل

ويقول عبد الحميد الرافعى فى طرابلس من قصيدة مطلعها :

ما تصلح الدنيا ولا ناسها ... ما لم يل الأقوام أجناسها
هبوا بنى العرب الام الكرى ... وقد دها الآمال دعاسها
طلبتم الاصلاح من عصبة ... توتر بالافساد أقواسها
ألستم نسل القروم الألى ... تنتعل الهامات أفراسها
فكم تقيمون على ذلة ... وروضة الصبر ذوى آسها
فجردوا العزم الذى طالما ... شق صدورا طال وسواسها

ويقول سليمان الفاروقي في فلسطين :

بني انهضوا واحيوا حياة عزيزة ... حياة تعيد المجد للعرب ثانيا
ألا نهضـــة شرقيـــة عربيـــة ... تزلزل أقواما وتوهي رواسيا ؟
ألا رجـــل ذو مـــرة فيلمكم ... ويرأب صـــدعا فيكم بات واهيا ؟
يقـــوم فلا يرتد أو يبلغ المـدى ... ويقضى ولكن يبعث السيف قاضيا

ثم انضم الى أدباء العرب الثائرين على طغيان السلطان أحرار الأدباء من الأتراك انفسهم من أمثال رضا توفيق ، وولى الدين يكن ، فكان من اولئك كله وقود جزل للثورة التى أشعلتها فى تركيا « جمعية الاتحاد والترقى » ، وكان ان أعلن فى نورها الدستور العثمانى فى سنة ١٩٠٨ ، ثم كان أن سقط فى نارها عبد الحميد فى سنة ١٩٠٩ .

وظن العرب أنهم سينعمون فى ظلال الدستور بالحرية والمساواة ، ولكن الظن كذب والأمل خاب ، وعاد الشعراء يقولون مع الفاروقى :

كنـــا نعلل بالدســـتور أنفسنا ... بفارغ الصبر ذاك اليـــوم نرتقب
حتى اذا جاء لم يحدث لنا حدثا ... ولا اســـتجيب لنا فى مطلب طلب

واشتدت الخصومة بين العصبيتين العربية والتركية ، واحتدمت ثورة الأدب ثانية فى المجلات والصحف ، وترددت أصداؤها فى المحافل والأندية ، وتجمعت القوى المتفرقة فتألفت الجمعيات السياسية فى العواصم المختلفة كجمعية المنتدى العربى، وجمعية العهد فى الأستانة والجمعية القحطانية والجامعة العربية فى مصر ، والجمعية الاصـلاحية فى بيروت ، وكلها كانت تعتمد فى الدعاية على الأدب فى شتى ضروبه وجميع مظاهره ، حتى شبت الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٤ وكانت تركية خصما فيها لانجلترا وفرنسا وهما الدولتان الطامعتان منذ طويل فى اقتطاع الشرق العربى وابتلاعه من تركة الرجل المريض ــ كما كانوا يسمون الدولة العليا ــ وأراد الله جل شأنه أن يهيىء الأمور لتحرير الأمة التى اختارها لاظهار دينه واعلاء حقه ، فأسرف الأتراك فى البغى وأمعنوا فى الجور وحكموا بالاعدام ظالمين على صفوة من أقطاب الأدب والسياسة ، فشنقوهم سنة ١٩١٥ فى ساحات بيروت ودمشق ، فكان استشهادهم المروع مناحة للأدب فى كل قطر . واستغل الاستعمار الراصد هذه النكبة ، فتقدمت انجلترا الى الحسين بن على شريف مكة فى سنة ١٩١٦ بالوعد أن تجمع له الأقطار العربية كلها تحت تاجه ، فكانت ثورة الحجاز ، وكان انخذال الترك ، وكان استقلال العرب .

كذب الانجليز وعدهم وصدق الله وعده ، وانتهى أمرهم الى الانتداب ، والأمر لله وحـــده .

ذلك ما اتسع له القول فى جهاد الأدب لانهاض العرب فى هذا القرن . أما جهاده فى جمع كلمتهم وتحقيق وحدتهم فهو موضوع المقال التالى .

« أحمد حسن الزيات »

أما بعد !!!!

بقلم: محمود محمد شاكر

أما بعد ، فقد أعفيت نفسى بضعة أسابيع من هم القلم وقلق النفس الى الكتابة ، لكى أفرغ لهم يزيدنى شعورا بلذة الحياة وبهجتها ، وقلق يزيد النفس توهجا تحت أثقال العمر • ولست أعنى بالهم ما يغشى القلب من ثقل جاثم يسد منافذ الدم حتى يكاد القلب يختنق ، ولا بالقلق ما يخامر النفس حتى تتبعثر وتضطرب ، بل أريد بهما ما يساور القلب والنفس من احساس بأن الحياة جد لا يصلح معه الهزل والاستخفاف ، وترك الأمور تجرى فى أعنتها بلا وازع ولا رقيب ولا ضابط ، ولعلى لا أكون مبالغا اذا أنا قلت : انى كأنى قد وقفت ، فى هذه الأسابيع القلائل ، على قمة من القمم الشوامخ ، والأرض كلها من تحتى ، فارمى ببصرى الى أفق بعيد مغرق فى البعد منذ عهد أبينا آدم عليه السلام ، ثم أرجعه على عوالم من ذريته لا يعلم زمانها وآجالها ومصائرها الا بارئها وحده سبحانه • ووجدتنى تميد بى ، فى خلال ذلك ، نشوة خفاقة تهب من عن يمين وشمال ، فتهزنى ، « كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب » ، ولا كنشوة جذيمة الابرش الوضاح ، ملك العرب قديما فى الجاهلية، حيث وصف نشوة يخالطها طائف من الحزن ، بهذه الأبيات الروائع :

ربما أوفيت فى علم — ترفعن ثوبى شمالات
فى فتو أنا كالئهم — فى بلايا غزوة باتوا
ثم أبنا غانمين معا — وأناس بعدنا ماتوا
نحن كنا فى ممرهم — اذ ممر القوم خوات
ليت شعرى ما أماتهم ؟ — نحن أدلجنا وهم باتوا

فأى نغم جليل فخم ، متهدج النبرات ، اهتدى اليه هذا الجاهلى القديم ، بما فى قلبه من الهم والقلق، ثم استودعه هذه الأحرف القلائل ، وأنفذها الى أعماق الحياة الانسانية ، ثم سلها كأنها أسنة مصقولة حداد لها بصيص يلمع فى ظلمات الحيرة ؟ وأى نشوة يدب فى خفقاتها دبيب الحزن الكامن والحسرة المترقرقة ، أطاق هذا العربى المبين أن يملأ بها وجدان حياتنا ، بلا رموز يونانية متمرغة فى أوحال الأساطير ، وبلا رموز وثنية المنابت والأصول، تجعل الحياة البشرية جحيما مستعرا من الخطايا والذنوب والآثام ، وتحيل الهم الشريف ظلمة مطبقة على القلب والنفس ، والقلق السامى تدميرا لبنيان الله الذى أحسن كل شىء خلقه ثم هدى ، سبحانه وتعالى •

وما دام القلم قد حملنى هذا المحمل ، ودخل بى الى حديث لم أرده حين بدأت ، فسأدعه يحدثك عن عربى آخر ، عظيم الهم ، كريم القلق ، وهو أيضا جاهلى عتيق ، وهو جد راوية الكوفة المفضل بن محمد الضبى ، واسمه سلمى بن ربيعة بن زبان الضبى ، فقال يصف نشوة أعمق من نشوة الملك جذيمة الوضاح :

ان شواء ونشوة — وخبب البازل الأمون
يجشمها المرء فى الهوى — مسافة الغائط البطين
والبيض يرفلن كالدمى — فى الريط والمذهب المصون
والكثر ، والخفض آمنا — وشرع المزهر الحنون
.. من لذة العيش، والفتى — للدهر، والدهر ذو فنون

والعسر لليسر ، والغنى للفقر ، والحى للمنون
اهلكن طسما وبعده غذى بهم وذا جدون
واهل جاش ومارب وحى لقمان والتقون

فاى نغم ؟ وأى نشوة ؟ وأى حزن رقيق ؟ وأى استقبال لخير الحياة وشرها بلا خوف ولا تردد ؟ وأى قدرة على جعل هذه الألفاظ العربية الشريفة ، أوتارا مشدودة على قياس وحساب ، حتى تنبعث من تلاوتها أنغام معبرة عن الحياة والموت بأضواء من البيان لا تكشفها الرموز الميتة التى ينفخ فيها النقاد لتحيا ، وقد بليت وتعفنت فى معابد الجهل بالحياة ، وهياكل الضلال عن الحق ، ولكن العجب لمن عنده لغة تملك هذه القدرة الخارقة ، ثم يضل عنها الى البيوت وأشباه البيوت ، وذيول البيوت ، غير مبال أن يخوض بلسانه ولغته فى تربة عفنة من التعاظل النفسى المريض ، ومن رجيع الحضارة الأوربية وصديدها المتقيح ، الذى يمثله بكل غثاثته وعفنه فلان وفلان ، ممن اعرف وتعرف .

❋ ❋ ❋

ولكنى قد ذهبت بالقارىء مذهبا لم أرده ، فلا بأس عليه ان قطعت الحديث منصرفا الى ما كنت قد عزمت على البدء به . فقد كنت وعدت قارىء الرسالة فى أول المقالة التاسعة ، أنى قد جعلت له على حقا ، وهو أن لا اخليه من متابعة ما يقال عما أكتب فى الرسالة ، اذا كان كاتبه قد استودعه مكانا غير مجلة الرسالة . فوفاء بهذا الوعد ، أؤجل ما طال الأمد على الوعد به ، وهى الكلمة التى جعلت عنوانها « **أباطيل واسمار** » ، وأول وجهى شطر شىء نشر فى مجلة يقال لها « العلوم » ، فى العدد الرابع بتاريخ ابريل سنة ١٩٦٥ ، وهى مجلة تصدر فى بيروت ، أرسلها الى صديق كريم . وعنوان هذه المقالة : « من همومنا الفكرية » ، وكاتبها معروف أحيانا ، واسمه الأستاذ محيى الدين محمد ، ويبدؤها هكذا :

« فى مجلة الرسالة ، التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى ، حملات أسبوعية ضد بعض الكتاب ، يصل بعضها الى حد الهجوم الموتور ، المشحون بالحقد والبغضاء . ويصل البعض الآخر الى حد استعداء السلطات على هؤلاء الكتاب ، مع دعوة الدولة الى طردهم من أماكن رزقهم ، أو الى طردهم من الجمهورية العربية المتحدة،التى تؤويهم وتقدم لهم العيش الرغد » .

« وقد تسببت بعض هذه الحملات الاستعدائية الى طرد الاستاذ غالى شكرى من سكرتارية مجلة الشعر التى كان يعمل بها ، وتسببت أيضا فى الاستغناء عن الدكتور عبد القادر القط من رياسة تحرير نفس المجلة ، واسنادها الى الشاعر محمود حسن اسماعيل . وقد تتسبب ايضا فى ايذاء الدكتور لويس عوض ، وهو امر نخشاه ، ونرجو الله أن لا يحدث . وتتفاوت أساليب هذه الحملات ، بين ما يظنه المهاجمون موقفا عدائيا من التراث القومى ، وايمانا بالمسيحية واليهودية ، وبين ما يظنونه موقفا معاديا من الشعر الكلاسيكى ، وتمسكا بالشعر العامى، كما يسمونه ، وبين مايحسبونه فهما مغلوطا لقضايا الفكر القومى ولأمور التراث » .

ولست أعلق على ما فى هذه الكلمات من حسن التحرى وتمام الصدق ! ولكنى أدع الكاتب يبين عن نفسه فيما هو أهم ، بعد أن دافع عن حرية الاعتقاد والكلمة . قال : « واذن لماذا نكتب هذه الكلمة ، ما دمنا متفقين على مبدأ التصدى لكل رأى ينال من التراث القومى ، أو يشكك فى أفكارنا وقضايانا ؟ » . ثم أجاب فقال : « لابد قبل أن نبرر لذلك ، من دراسة متفحصة للآراء والأفكار التى سببت مثل هذه الهجمات المتكررة ، التى توشك أن تصبح ظاهرة لاحدى المجلات التى تنطق بسياسة الجمهوريةالعربية المتحدة فى مجال الفكر والثقافة ، (ويعنى الرسالة بلا شك) ، وتوشك أن تصبح ، بل أصبحت بالفعل ارضا يجوس فيها التخريب والشتائم الشخصية والسباب ، وكما قلنا من قبل : استعداء السلطات على الكتاب ، والمطالبة بطردهم ... الخ مع ما فى ذلك من تجن وصغار ، لا يجيدها سوى فئة من الكتاب التافهين الذين يتسلقون على أكتاف الأسماء اللامعة ، أو التى لقيت بعض الشهرة فى هذا المجال» .

ثم أفاض الكاتب فى بيان تاريخ مسالة التراث القومى ، والأطوار التى مرت عليها ، وظهور طائفة من الكتاب فى الطور السابق لما نحن فيه اليوم ، عد منهم سلامة موسى ، واسماعيل مظهر ، وشبلى‌شميل (بهذا الترتيب !!) ، ثم قال : « ثم مات الرواد ، وجاء دور التلاميذ للسير على الدرب نفسه ، والدفاع عن منطق الأساتذة ، والافادة من وجهة نظرهم فى الحكم على القضايا العصرية ، وعلى المشكلات العميقة التى يطرحها التطور والتقدم ، وكان من هؤلاء

الدكتور لويس عوض ، الذى أثر تأثيرا عميقا فى حياتنا الادبية ، بدراساته الواسعة عن تأثير الحياة الاقتصادية والاجتماعية على الفنون والشخصيات الاوربية ، فى وقت كان النقد الأدبى قائما فيه على الذوق الشخصى وحسب » .

ثم أفاض بعد ذلك فى الكشف عن موقف هؤلاء الرواد وتلامذتهم من التراث القومى ، وبين عذرهم فى هذا الموقف ، بما يخيل اليه أنه عذر مقبول ، وقال ان أكثر الشبان الذين تبعوهم فى هذه المرحلة « قد عادوا الى دراسة هذا التراث بمعزل عن الأفكار التى قيلت عنه ، وبمعزل عن السذاجة التى حكموا فيها على الأمور » ثم قال : « ثم قامت هذه الزوبعة حول بعض الأقلام التى كتبت فى الماضى كلاما عن التراث ، وتكتب فى الحاضر أبحاثا تحتمل التأويل، وتحتمل المناقشة . وفسرت هذه المقالات تفسيرات خاطئة ومشوهة ، بعضها يتكلم بشكل شخصى ، ويحاول أن يهدم بطريق السباب . وبعضها يشكك فى قومية هؤلاء الكتاب ، ويدمغهم بالتعاون مع الغرب ومحاولة تشويه تاريخ الأمة العربية ، الى آخر قائمة الاتهامات » ، ثم قال أيضا :

« فالأبحاث المطولة التى يكتبها الدكتور لويس عوض ، والتى يتكلم عنها بعض هؤلاء (الكتبة) ، بصورة تستوقف النظر لمافيها من استفزاز واستعداء صريح ، أبحاث أدبية ، يحقق فيها صلة الكوميديا الالهية برسالة الغفران ، وعما اذا كان مصدر الكوميديا هو احدى ترجمات رسالة الغفران ، أم أصلهما واحد . وقد تطرق الدكتور الى تفسير وشرح بعض أبيات من سقط الزند ، ووقع فى بعض الأخطاء اللغوية التى قد يقع فيها الناقد ببساطة ، خاصة أمام نص قديم : اما لجهله باللغة العربية القديمة ، التى أصبح كثير من مصطلحاتها قيد القواميس ، ولا تمارس فى حياتنا الثقافية الراهنة، واما لتسرعه فى الكشف عن بعض هذه المصطلحات التى كانت تستوجب تنقيبا ومهارة وعلما أكثر .

« وقامت قيامة بعض صغار الكتبة الذين اهتدوا الى التفسير الصحيح للنص المختلف عليه ، وأخذوا يكتبون فى الرسالة هذه السلسلة من السباب ، يهاجمون فيها الدكتور ، وينبشون تاريخه القديم ، عندما كان صوتا للمصرية وللثقافة المرتبطة بأوربا، وينقبون عن آراء له صدرت منذ عشرين عاما ، فيعيدون صياغتها بما شاءت لهم نفوسهم الملتوية ، ثم يقدمونها الى القراء ، والى الدولة مطالبيتها (هكذا !!) بأن تقطع عيش هذا الكاتب الذى (يشوه) تقاليدنا ، والذى دعا قبل ذلك الى الكتابة بالمصرية المحلية . وقد تؤثر هذه الحملة البشعة فى رزق الدكتور ، فيضطر تحت الضغط الى الاستقالة من هذا المنبر الذى يشغله فى جريدة الأهرام ، وهو أمر لا يكاد الانسان يجد له مبررا معقولا واحدا » .

ثم قال بعد : « ولقد أصبحت الأقلام الرجعية فى مجلة الرسالة (وهى ليست ممثلة لمصالح اقتصادية معينة) ، ممثلة لنوع من أنواع الرقابة الداخلية ، أو الضمير الكاذب ، على مايكتبه المتحررون واليساريون والاشتراكيون ، وانها لصيبية يجب بترها قبل أن تستفحل وتصبح داء عضالا » ولو كان النقد الذى يكتبه هؤلاء (الكتبة) الصغار موضوعيا ، ولم يكن قائما على الهوى ، لطبلنا لذلك وقلنا : الخير فى الموضوعية والنقاش ، ومقارعة الحجة بالحجة ، غير أن هؤلاء لا يكتبون حرفا واحدا بدون الاساءة الشخصية والسب العلنى باسم الفكر ، وهو أمر لا يصلح فيه الكلام ، انما تصلح احالته الى القضاء » .

ثم قال : انه ليس بحاجة الى التأكيد بأن الشتائم لن تقنع فردا واحدا فى الجيل كله ، ثم اقتطف من مقالاتى فى الرسالة أربعة أمثلة عدها سبا علنيا وشتيمة ، ثم قال بعد ذكر الميثاق وما فيه من اعلاء شأن الفكر وحريته : « والاقناع الهادىء وجه من وجوه الحرية ، يعايشها ويحيا معها ، ولا يمكنه أبدا أن يعايش طغيان الكتبة الصغار او الكبار » .

ثم ختم هذا كله بقوله : « وهكذا وقعنا فى يد النصابين الذين يتكلمون باسم الفكر والثقافة » ، ثم ابتهل الى الله ، وتقدم الى السيد الدكتور وزير الثقافة والارشاد، أن يتدخل « فيحمى فكرنا، ويحمى ثقافتنا وعروبتنا واشتراكيتنا ، باستبعاد هؤلاء المزيفين من دوائر الاعلام » .

وقد نقلت كل هذا بحروفه ، ولم أسقط من المقالة الا ما لا يضر اغفاله هنا ، ولولا الاطالة ، لنشرت المقال كله كما جاء فى مجلة العلوم . وكنت أستطيع

أن أغفل المقال كله ، لانه لم يات بجديد بعد الذى قاله زميل الدكتورمحمد مندور،منذ أشهر،ورددتعليه مقاله فى الرسالة • ولكن الذى اعجبنى من الاستاذ محيى الدين محمد ، هو حبه لأستاذه ومعلمه لويس عوض ، واكباره له ، حتى انه حين اقتطف ما اقتطف من مقالاتى مما عده شتائم ، قال : « الشتائم التى نقتطف هنا ، آسفين ، بعضا منها موجهة لأستاذ جليل طالما علمنا وعرفنا » • بيد أنى رأيته أخطأ فنشر كلامه فى مجلة لا أظنها تليق به ، فضلا عن انها تصدر فى بيروت ، فرأيت لزاما على أن أنشر له خلاصتها هنا فى مصر أيضا ، وفى حيث لا تبلغ مجلة العلوم من البلاد التى تذهب اليها الرسالة• وقد تساهلت اكراما له ، فتركت لفظ «الدكتور» ملصقا باسم لويس عوض ، وان كنت قد عاهدت نفسى من قبل أن أصون هذا اللفظ فيما أكتب ، وانزهه عن مواضع الامتهان والابتذال ، لأنه لفظ يحمل عند الناس تراثا من المهابة والتبجيل ، ونبضا حيا من الامانة والدقة والصدق ، والبعد عن الهوى، كما قلت فى بعض مقالاتى السالفة •

ولكن الشىء المعيب فى مقالة هذا الاستاذ ، هو أنه فعل ما فعله الدكتور مندور من قبل ، فكتب دون أن يقرأ شيئا من هذه المقالات فيما أظن • والا فليحدثنى أين وجد فى كلامى استعداء للجمهورية العربية على لويس عوض ؟ وأين وجد فى كلامى أنى اريد أن اقطع عيش هذا الأدمى (نسبة الى أبينا آدم !) ، او ان أؤثر فى رزقه ؟ لا أظنه يجد فى كلامى شيئا يشير الى قطع العيش والتأثير فى الرزق، الا ما ظنه هو من أن لويس عوض ، قد يضطر تحت الضغط الى الاستقالة من هذا المنبر الذى يشغله فى جريدة الاهرام ، **وهذا ظن فاسد** ، يدل على أن طول تعلمه على يد لويس عوض وتتلمذه له ، قد غشى ذكاءه ، فجهل عن الرجل ما كان ينبغى أن يعرفه باقل التامل • والذى يستقيل من عمل كهذا العمل، اذا جاءه من يكشف له عن جهله وغبائه وادعائه ، انما هو الرجل الذى ابتلاه الله بذرو من الحياء (أى قليل جدا منه) ، ولويس عوض قد عوفى مما ابتلى به غيره ! فباى عقل يستطيع انسان أن يعقل أن لويس عوض ، يمكن أن يفكر فى الاستقالة ، من وظيفة لم يكن يحلم مثله قط أن ينالها ، ولو بقى الدهر الطويل يمد اليها عينيه •

ومسالة التدليل على أن لويس عوض قد عوفى مما ابتلى به غيره من الحياء ، مسالة (أساسية) ، فى حديثى هذا ، لا من أجل الكشف عن حقيقة هذا الدعى ، بل من أجل الكشف عن أثر ما يكتبه وما يزعم أنه يعلمه للناس ، كأمثال الأستاذ محيى الدين • وقد نبهت الاهرام مرارا فى مقالاتى ، الى خطر ماينشره هذا «الشرلتان» المخمور فى الصحيفة الادبية، فى اى موضوع شئت مما كتب فيها، ونبهت جريدة الأهرام مرارا الى أن مثل هذا الخلط الذى يكتبه باسلوب المبشرين ، وهو أسلوب تعاقل المحرومين نعمة العقل ، له أبلغ الأثر فى تفكير الشباب واشباه الشباب كالاستاذ محيى الدين محمد •

فلويس عوض لم يستح قط حين كشفت عن جهله بتاريخ شيخ المعرة ، مع أن بناء مقالاته قائم على توضيح طبيعة العصر الذى كان يعيش فيه المعرى، ليعطينا ، فيما زعم ، بعض المفاتيح التى تساعد على معرفة موقف هذا الرجل العظيم من افكار عصره ، ومن أحداثه ، ومن رجالاته ، ومن أحواله بوجه عام، او كما قال • فبالذى اشاك فسواك فعدلك ، ياسيد محيى الدين ، هل يدخل فى نطاق تصورك أن انسانا لا يستطيع أن يقرأ خبرا واحدا ، هو خبر راهب دير الفاروس ، قراءة صحيحة ، ولا يستطيع أن يعرف الوجه الذى به يعد الخبر صادقا او كاذبا ولا يستطيع أن يراجع هذا الخبر وهو موجود فى نحو من ثلاثين كتابا بالفاظ مختلفة ، ولا يستطيع أن يفهم دلالة الفاظ هذا الخبر ، كما بينت ذلك فى مقالاتى التى لم تقرأها فيما أظن ، ولا يستطيع أن يهتدى الى دلالة واحدة من دلالات شعر أبى العلاء فى صدر حياته ، ولا يستطيع بعد ذلك أن يتبين أبسط قواعد المنهج فى الدراسات الادبية ، مما يعلمه المبتدئون فى الدراسة الادبية ، فضلا عن انسان يزعم أنه أستاذ جامعى كان = هل يدخل فى تصورك أن انسانا كهذا قادر على أن يعطى الناس شيئا يفهم ، فضلا عن مفتاح واحد مزيف يعين على فهم مغاليق أبى العلاء ؟ ألا تظن أن قائل ذلك مدع عظيم الدعوى ، وانه يأتى باشياء لا يملك الدليل عليها ، ولا وسائل الاهتداء الى هذا الدليل، الا بكلام ملفق يلقيه متتابعا، بتعاقل شديد ، وبهوج متثاقل وبوقار يترنح ؟ الا

تقول معي ، فيما عددته شتائم واقتطفته من مقالي: « أفي الدنيا انسان يعقل ، هو أصلب من هذا الجرىء الجاهل وجها » ؟ لا أظنك تستطيع أن تقول غضبا لأستاذك : لا اقولها البتة ! لأني اعدك ، استنباطا مما قرأت لك ، أذكى من هذا الدعي ، الا ان يكون قد أتلف عليك ذكاءك !

ولويس عوض ، لم يستح قط ، حين عرض لآية من كتاب الله ففسرها بسوء أدبه ، وبالمعروف من جهله ، وبالتعاقل التبشيري الصفيق ، فزعم أن « وردة كالدهان » ، هي « روزا مستيكا » ، ثم لم ينهه شيء حتى زعم أن أبا العلاء قد نسج على صورة الوردة ، حين وصف الأرض وقد غشتها الدماء في الحرب ، فقال : هي وردة كالدهان ؟ ونسب هذا الخبل الى تفاسير القرآن · أتظن أن هذه « من الاخطاء اللغوية التي قد يقع فيها الناقد ببساطة ، خاصة امام نص قديم ، اما لجهله باللغة العربية القديمة ، التي اصبح كثير من مصطلحاتها قيد القواميس ، واما لتسرعه في الكشف عن بعض هذه المصطلحات التي كانت تستوجب تنقيبا ومهارة وعلما اكثر » كما تقول ؟ أم هذا انسان مدع كذاب ، لا يرعى لشيء حرمة ، ولا يؤتمن على شيء قط ، وهو فوق ذلك فاقد لمقومات الادراك الأدبي ، من شعر ونثر ، لا في العربية وحدها ، بل في كل لغة يدعي أنه يعرفها · الا تقول معي لصحيفة الاهرام أنه : « ليس من حقها أن تشوه معارف الناس وعلومهم وتاريخهم وآدابهم، بفعل انسان مشوه القلم والعقل » ؟ قلها معي وتوكل على الله !

بل ان لويس عوض لم يستح قط ، حين فسر ما لا يحتاج الى مراجعة من مصطلحات أصبحت قيد القواميس كما تقول ، واصبحت ايضا لا تمارس في حياتنا الثقافية الراهنة ، كما تقول ايضا · وذلك حين عرض لشعر بدر شاكر السياب فأوغل في الادعاء والغطرسة وسوء الخلق ، حتى عمد الى أبيات له يشرحها ، وقال فيها : « لواحظ المغنية ، كساعة تتك في الجدار ، في غرفة الجلوس في محطة القطار » ، ففسر « لواحظ المغنية » بمعنى : الحاظ المغنية ، اى عيونها ، وزعم أن معناه أن « عيون المغنية ، كانت تتك كساعة الحائط ، تحصى الثواني والدقائق في انتظار شيء رهيب يوشك أن يقع » وأن هذه الصورة اعني صورة عيون المغنية : « هي صورة قنبلة زمنية هائلة تتك في الصمت الرهيب ، وتوشك أن تنفجر » الى آخر هذه (الهلوسة) · الا تقول معي: ان هذا كلام ربيط في البيمارستان كان ، فاذا هو فجأة طليق من القيود ، مفلت من الأسوار ؟

وقد يشق عليك أن تسمع هذه الالفاظ ملقاة بهذه الصراحة ، ونعم ، انها لألفاظ قاسية شديدة ، ولكن اطلاق مثل لويس عوض على الناس ، أقسى من الفاظي وأفتك · وأنا لا أقولها تلذذا باعادتها وتكرارها ، فلويس عوض كما هو الآن بين لك ، وان كنت جعلت ذلك من مقتطفات شتائمي : « ليس له قيمة عندي من حيث هو كاتب » ، لأني لا أعد أمثال لا منس ، أو لويس شيخو ، أو زويمر ، أو ما سنيون ، أو من شئت من هؤلاء المبشرين الثقلاء المدعين الكذبة ، لا أعد أحدا منهم كاتبا ، ولويس عوض ، من حيث قرأته ، من أعلى الى اسفل ، ومن أسفل الى أعلى ، ومن يمين الى شمال ، ومن شمال الى يمين ، لايخرج منه شيء يسمى « كاتبا » ، الا اذا كان معنى « الكاتب » ، هو الذي يخط بالقلم ، بلا زيادة ، فعندئذ يستوى لويس عوض ، و « أبسط بنت تبيع الكرافتات في شيكوريل » ، كما قال في « بلوتولند وقصائد أخرى » من تأليفه !!

وشيء آخر معيب ، لا أحب أن أقول لك انه وسم علقت بك ناره ، من جوار هذا الحداد ، أعني صبي المبشر ، حين رضيت لنفسك أن تكون تلميذا له ، وهذا الشيء هو ترك الانصاف · فأنت قد حللت ما كتبت أنا في مجلة الرسالة ، وعلمت أني مشحون « بالحقد والبغضاء » ، ووصفتني بما شاء لك حسن تهديك الى معرفة سرائر النفوس ، من شر والتواء الى آخر ما قلت ، الم يكن من الانصاف أن تدعني وما هداني اليه تحليلي لشخص لويس عوض ،

ووصفي إياه بما وصفته به من البذاء والجرأة والحقد المستكن على مد ثلاثة عشر قرنا ، وانه انسان مغموز فى فكره وأهوائه وطبيعته ، وانه مخرب شديد التخريب ، وانه صبي مبشر يعمل لأهداف معروفة تقوم وزارات الاستعمار على تغذيتها وامدادها منذ قديم ، ومع ذلك فقد كنت اقرب منك الى التزام بعض العدل ، لأنى جئت بالادلة على ذلك من نفس كلامه ، ومن تشابه ما قال وما يقول ، وما قاله المبشرون وما لم يزالوا يقولونه ، مع التدليل على ان «التبشير» عمل سياسى ، لا باستنتاجى انا ، بل بشهادة أهل الشأن (!!) ممن يعد قول مثله حجة ، عند من يسلم عقله وضميره لكل من لم يكن عربيا مسلما ، وان كان قوله اغراقا فى الضلال والسخف!

وخصلة أخرى من ترك الانصاف ، قالت (بعظمة لسانك) ، تستعدى وزير الثقافة والارشاد ، باسم هذه المرحلة العظيمة التى نحياها ، وبكذا وكذا ، « ان يحمى ثقافتنا وعروبتنا واشتراكيتنا ،باستبعاد هؤلاء المزيفين من دوائر الاعلام » وجعلتنا « مصيبة يجب بترها قبل أن تستفحل وتصبح داء عضالا »، فبالذى جعل لك عينين ، ولسانا وشفتين ، ارأيت كلامى عن لويس عوض اقرب الى الاستعداء من صريح لفظك الذى نقلته لك آنفا ؟ لا أظنك تقول نعم ، لانك عندئذ تخرج من حد ترك الانصاف الى شيء آخر لا أحب أن أسميه !

ولتعلم ، آخر ما تعلم ، انى رفقت بك كل الرفق، لأنى لا أيأس من صلاح الناس ، مهما قيل عنك ، ومهما قرأت لك مما يسوءنى ان اجد احدا من الناس متورطا فيه ، جهلا أو غفلة أو سوء طوية · كل ذلك سواء عندى · وأظنك تعلم ، ان لو كان غيرى ،لترك مقالك هذا حيث هو ، لا أقول لك انه كان خليقا ان لا يرد عليه ، بل أقول انه كان مما يخطر بالبال ان لا يقرأه · ولكنى ، مع كل ما أعلم عنك ، ومع كل ما قرأت لك ، وهو عندى كريه ، لم أزل أجد لك فضلا ظاهرا على لويس عوض · وما دام الزمان الذى عشته ، قد اضطرنى الى حمل القلم وغمسه فى كلام يتضمن اسم هذا الآدمى ، فامتناعى عن الرد عليك ، وعن حمل كلامك محمل الجد ، مما اعده مجانبة غير محمودة للانصاف والعدل ·

اما استاذك الذى علمك ، والذى لا يستحى ، والذى يتعاقل بعقل المبشرين ، فقد جاء من طريق هو اخفى من طريقك ، ولبس لباس المعلم يعقوب القديم ، قبل أن يصير جنرالا بتسمية نابليون ، وحمل دواة وقلما وطومارا قديما ، وترك «التقعر» الاليوتى جانبا ، فنشر جداول الحساب بالزنكوغراف ايضا فى الصحيفة الأدبية منذ اسبوعين فى جريدة الأهرام ، وسماها « كلمة هادئة عن التأليف والترجمة والنشر » مرة ، و « كلمة هادئة عن مجلات وزارة الثقافة » مرة أخرى ، (والتسمية وحدها دالة على انه يريد ، بعد طول احتجابه ، ان يظهر للناس وقورا عاقلا متماسكا متمالكا لقواه) · استاذك هذا كانت اهدافه ظاهرة معروفة ، لمن يحسن ان يكشف عن طبائع هذا الضرب المدرب من أدوات التبشير ودماه المتحركة فى عالمنا هذا ، منذ قرن ونصف · وهو لم يقل مثلك بصراحتك المحمودة : أن اقصوا هؤلاء المزيفين ، بل اراد بالأرقام ، كما يزعم ، ان يبطل جدوى هذه المجلات التى قلت عنها انها تشن حملات اسبوعية ضد بعض الكتاب ، وتستعدى السلطات عليهم ، واراد أيضا أشياء فوق ذلك ، ليس من شأنى فى هذه الكلمة أن أكشف عنها ، ولكنه هو يعرف ما أعنى ·

وآخر نصيحة انصحك بها ، ان تقرأ ما كتبت عن هذا الشرلتان المتبجح فى كل ميدان ، بما لا يحسن منه شيئا ، الا ايماء وتلفيقا وتعاقلا ، دربه عليه مدربه ، « تحت اشجار الدردار بكامبردج » ، لتعلم غدا ، بعد أن نصل الى الغاية فى بيان ما نحن بسبيل بيانه ، أنك قد وقعت حقا وصدقا « فى يد النصابين الذين يتكلمون باسم الثقافة والفكر » ، فان كان قد بقى لك شيء لم يتلقفه عليك استاذك ، فأنت بلا ريب نازع عما أنت فيه ، وعائد الى الحق ، مع البراءة ممن ضلل خطاك ، وبعثر نفسك ، وتركك فى ظلماء ليلها كنهارها · والسلام ·

« محمود محمد شاكر »

تبادل المفردات بين اللغات

وخاصة بين لغتنا العربية واللغات الأخرى

للدكتور : على عبد الواحد وافى

من المقرر أن أى احتكاك يحدث بين لغتين أو بين لهجتين ـ أيا كان سبب هذا الاحتكاك ، ومهما كانت درجته ، وكيفما كانت نتائجه الأخيرة ـ يؤدى لا محالة إلى تأثر كلتيهما بالأخرى .

ولما كان من المتعذر أن تظل لغة ما بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى ، لذلك كانت كل لغة من العالم عرضة للاقتباس من اللغات الأخرى وللتطور المطرد عن هذا الطريق .

وأهم ناحية يظهر فيها هذا التأثر هى الناحية المتعلقة بالمفردات . ففى هذه الناحية على الأخص **تنشط حركة التبادل بين اللغات ، ويكثر اقتباسها** بعضها من بعض . وقد يذهب بعض اللغات بعيدا فى هذا السبيل فيقتبس معظم مفرداته أو قسما كبيرا منها من غيره ، كما هو الشأن فى التركية والفارسية والسريانية والانجليزية : فمعظم مفردات التركية مقتبس من العربية والفارسية ، وقسم كبير من مفردات الفارسية الحديثة مقتبس من العربية ، ومن مفردات السريانية مقتبس من اليونانية ، ومن مفردات الانجليزية مقتبس من النورماندية .

ويختلف مبلغ ماتأخذه لغة عن أخرى تبعا لاختلاف العلاقات التى تربط الجماعتين الناطقتين بهما وما يتاح لهما من فرص للاحتكاك المادى والثقافى . فكلما قويت العلاقات التى تربط احداهما بالأخرى ، وكثرت فرص احتكاكهما ، نشطت بينهما حركة التبادل اللغوى . ولذلك تبلغ هذه الحركة أقصى شدتها حينما تسكن الجماعتان منطقة واحدة أو منطقتين متجاورتين .. فالانجليزية مثلا قد أخذت عن النورماندية أكثر مما أخذته عن أية لغة أخرى ، لأن الغزاة من النورمانديين قد استقر بهم المقام فى بلاد الانجليز المغلوبين نفسها . واللاتينية قد اقتبست من الاغريقية أكثر مما اقتبسته من أية لغة أخرى ، وذلك لتجاور منطقتيهما وشدة الامتزاج بين الشعبين الناطقين بهما . وما اقتبسته ألمانية سويسرا من اللغة الفرنسية لايذكر بجانبه ما اقتبسته منها ألمانية النمسا مثلا ، وذلك لأن القسم الألمانى اللغة فى سويسرا متاخم للقسم الفرنسى اللغة ولشدة الاحتكاك بين سكان القسمين ، على حين أن النمسا غير متاخمة لمنطقة فرنسية اللسان . وقد تسرب إلى لغة رومانيا عدد كبير من مفردات الشعبتين الصقلبية (السلافية) والمجرية ، على حين أن أخواتها اللاتينية الأصل (الفرنسية والايطالية والاسبانية **والبرتغالية) لم تكد تتأثر بهذين اللسانين ، وذلك** لأن رومانيا قد انعزلت عن أخواتها اللاتينية وأحاطت بها من جميع جهاتها أمم صقلبية اللسان أو مجرية .

والمفردات التى تقتبسها لغة ما عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل هذه اللغات أو برزوا فيها أو امتازوا بانتاجها أو كثرة استخدامها .. وهلم جرا . فمعظم المفردات التى أخذتها الانجليزية مثلا عن النورماندية يتألف من كلمات دالة على معان كلية وألفاظ تتصل بشئون المائدة والطهو والطعام ، وذلك لأن النورمانديين كانوا يفوقون الانجليز كثيرا فى هاتين الناحيتين ، فغزرت مفرداتهما فى لغتهم ، على حين أن الانجليزية كانت فقيرة فيهما كل الفقر . وقد ترتب على اقتباسها من النورماندية الألفاظ المتصلة بشئون المائدة والطهو وألوان الطعام أن انفردت بطريقة غريبة فى تسمية الحيوانات المأكولة اللحم . فكثير من هذه الحيوانات يطلق على كل منها فى الانجليزية اسمان : اسم جرمانى الأصل (انجلو سكسونى) يطلق على الحيوان ما دام حيا (sheap, calf, ox, pig) واسم آخر نورماندى الأصل (فرنسى) يطلق عليه بعد

ذبحه واعداده للطعام mutton, veal, beef, pork وقد انتقل الى اليونانية ، ومنها الى اللاتينية ، كثير من الكلمات الفينيقية المتصلة بشئون البحرية والملاحة ، وذلك لأن الفينيقيين قد سبقوا غيرهم من الشعوب فى هذا المضمار • وانتقل الى اللاتينية كثير من الكلمات اليونانية المتعلقة بالمصطلحات الفلسفية والدينية ، وذلك لبراعة اليونان فى ميدان الفلسفة ، ولأن الدين المسيحى قد انتشر بفضلهم فى شرق الامبراطورية الرومانية ووسطها ، ولأن معظم « أسفار العهد الجديد » قد ألف باللغة اليونانية •

وقد أخذت الجرمانية عن اللاتينية كثيرا من المفردات المتصلة بشئون القانون والتشريع والقضاء ونظم الاجتماع والسياسة ••• وما الى ذلك ، لأن الرومان كانوا مبرزين فى جميع هذه الشئون • ولهذا السبب نفسه انتقل الى الفرنسية كثير من الكلمات الجرمانية المتصلة بشئون الحرب ، ومنها كلمة الحرب نفسها laguerre فهى مأخوذة من الكلمة الجرمانية القديمة Werra ، وانتقل اليها كذلك كثير من الكلمات الايطالية المتصلة بالموسيقى وآلاتها والفنون الجميلة ، وانتقلت الى معظم اللغات الأوروبية وغيرها المفردات الانجليزية المتصلة بالألعاب الرياضية والمفردات الفرنسية المتعلقة بالأزياء وألوان الطعام •

ومن أجل ذلك تنتقل مع المنتجات الزراعية والصناعية أسماؤها فى لغة المناطق التى ظهرت فيها لأول مرة أو اشتهرت بانتاجها أو تصدر منها فى الغالب ، فتنتشر عن هذا الطريق فى لغات البلاد الأخرى • فكلمة « شاى » مثلا قد انتقلت الى معظم لغات العالم من لغة جزر ماليزيا التى كانت المصدر الأول لهذه المادة (« شاى » فى العربية ، و (Thé) فى الفرنسية ، و (Tea) فى الانجليزية ••• الخ) • وكذلك كلمة « الطباق » ، فقد انتقلت الى معظم اللغات الانسانية من لغة السكان الأصليين لأمريكا حيث كشفت هذه المادة لأول مرة («طباق» فى العربية ، و tabac فى الفرنسية ، و tobacco فى الانجليزية ••• الخ) •

❋ ❋ ❋

وعلى هذا السنن سارت اللغة العربية مع اللغات الأخرى • فقد توثقت العلاقات المادية والسياسية منذ أقدم العصور بين العرب وجيرانهم الآراميين فى الشمال عن طريق التجارة والهجرة والرحلات وامتزاج بعض قبائل آرامية بالعالم العربى فى الحجاز نفسه أو على تخومه • فكان لزاما أن تتأثر اللغتان كلتاهما بالأخرى وفقا للسنن التى تسير عليها اللغات • وكان من جراء ذلك أن انتقل الى اللغة العربية كثير من مفردات اللغة الآرامية ، وخاصة المفردات المتصلة بمظاهر الحياة الحضرية وما اليها من الأمور التى لم تكن مألوفة فى البيئة العربية الأولى ، والألفاظ المتعلقة بمنتجات الصناعة وشئون التفكير الفلسفى وما وراء الطبيعة (سكين ، سارية ، شيطان ••• الخ) •

ولم يكن ما أتيح للعرب من فرص للاحتكاك بجيرانهم الآراميين فى الشمال شيئا مذكورا بجانب ما أتيح لهم من فرص للاحتكاك بجيرانهم اليمنيين فى الجنوب • فقد كانت العلاقات الاقتصادية والثقافية والدينية على أقوى ما يكون بين الشعبين • هذا الى أنه قد هاجر الى بلاد العرب منذ عصور سحيقة فى القدم كثير من القبائل اليمنية ، وخاصة قبائل معين وخزاعة والأوس والخزرج ، وتألفت منهم جاليات قوية امتزجت بالعرب كل الامتزاج • وكانت الرحلات العربية الى بلاد اليمن للتجارة وغيرها لا يكاد يخلو منها فصل من فصول السنة • وقد أتاح هذا كله فرصا كثيرة للاحتكاك بين لغتى هذين الشعبين فاشتبكا فى صراع انتهى بتغلب العربية على اللغات اليمنية القديمة فى المرحلة الأخيرة من العصر الجاهلى • ومن المقرر أن اللغة المقهورة تترك فى اللغة الغالبة آثارا كثيرة فى مختلف المظاهر وخاصة فى المفردات • فلا بد اذن أن يكون قد انتقل الى العربية كثير من آثار اللغات اليمنية التى قهرتها •

وقد نشأ بين الاحباش والعرب ، وخاصة عرب اليمن فى الجنوب ، منذ أقدم العصور ، روابط وثيقة فى ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة ، وأتيح للشعبين ولغتيهما مجال واسع للاحتكاك والتبادل الثقافى ، فانتقل عن هذا الطريق الى اللغة الحبشية كثير من مفردات اللغة العربية ، وانتقل الى اللغة العربية عدد غير يسير من مفردات اللغة الحبشية •

ثم أدت الفتوح العربية بعد الاسلام الى امتزاج العرب واحتكاكهم بكثير من الشعوب التى لم يتصلوا بها من قبل ، أو كان اتصالهم بها ضيق النطاق محدود الآثار • وقد نجم عن هذا الاحتكاك وعن التطور الطبيعى للحضارة العربية وما أمدها به الاسلام أن ظهرت مستحدثات كثيرة لم يكن للعرب عهد بها من قبل فى ميادين الاقتصاد والسياسة والاجتماع

والأدب والدين . وكان لهذا كله أثر فى مجرى الصراع اللغوى بين اللغة العربية ولغات هذه الشعوب، وفيما حدث بينها وبينهن من تبادل لغوى فى ناحية المفردات، وذلك أن اللغة العربية قد اشتبكت فى صراع مع اللغات الآرامية فى بلاد الشام والعراق ، ومع القبطية فى مصر ، ومع البربرية فى شمال أفريقيا ، وقضت قوانين الصراع اللغوى أن تصرع العربية هذه اللغات جميعا ، حتى أصبحت المساحة التى تستخدم فيها العربية لغة حديث وكتابة نحو ١٢ مليونا من الكيلو مترات المربعة، وبلغ عدد المتكلمين بها أكثر من مائة مليون نسمة . ولكنها خرجت من صراعها هذا وهى متأثرة باللغات التى تغلبت عليها تأثرا يختلف قوة وضعفا تبعا لاختلاف مظاهر الحضارة والثقافة التى كان يمتاز بها أهل هذه اللغات وما اقتبسه العرب وانتقل اليهم من هذه المظاهر . فتأثرها بالسريانية مثلا (وهى احدى شعب الآرامية) كان أظهر كثيرا من تأثرها بالقبطية والبربرية ، بل انها لم تكد تتأثر بهاتين اللغتين الأخيرتين الا فى اللهجات العامية التى انشعبت منها فى مناطقهما الأولى (مصر وشمال افريقيا) . وقد انتقلت اليها عن طريق السريانية كلمات يونانية كانت السريانية قد اقتبستها من اليونانية من قبل : (انجيل، اسطوانة، أسقف ، ناموس ، أسقنج ... الخ) .

واحتكاك العربية بالفارسية قد ترك فى كلتيهما آثارا ظاهرة من الأخرى على الرغم من أنه لم ينته بتغلب واحدة منهما . فقد انتقل الى كلتيهما من الأخرى كثير من المفردات والأساليب والأخيلة والتراكيب . ولكن أثر العربية فى الفارسية كان أوسع نطاقا من أثر الفارسية فى العربية . ويظهر هذا الأثر بشكل واضح فى المفردات ، حتى ان معظم مفردات الفارسية الحديثة عربى الأصل .

واحتكاك العربية بالتركية ترك كذلك فى التركية آثارا واضحة من العربية ، حتى ان قسما كبيرا من مفردات اللغة التركية عربى الأصل ، ولكنه لم يترك فى العربية من التركية الا آثارا ضئيلة يبدو معظمها فى لهجاتنا العامية فى مصر والشام والعراق .

ولم يقف أمر نفوذ العربية عند هذا الحد ، بل تجاوزه الى جميع الأمم الاسلامية الأخرى (باكستان، الهند ، افغانستان ، الكرد ، بخارى ، زنجبار ، تنجانيقا ، الصومال ، مالى ، السنغال ، أريتريا ، نيجيريا .. الخ) . فانزلت العربية عند هذه الأمم منزلة مقدسة سامية ، لأنها لغة القرآن والحديث اللذين يقوم عليهما الدين الاسلامى ، وهى التى ألف بها جميع كتب التفسير والسنة والفقه والأصول والتوحيد ... وما الى ذلك . وهى فضلا عن هذا وذاك اللغة التى يؤدى بها كثير من العبادات الاسلامية ، وكان من أثر ذلك أن تركت العربية فى لغات هذه الأمم آثارا ذات بال ، وانتقل منها الى هذه اللغات كثير من المفردات . وقد بلغ هذا الأثر مبلغا كبيرا فى بعض هذه اللغات ، فنحو ٥٠٪ من مفردات اللغة الأردية مثلا يتألف من كلمات عربية الأصل . فاتسعت بذلك مناطق نفوذ اللغة العربية اتساعا كبيرا ، حتى بلغ عدد الناطقين بها والمتأثرين بسلطانها أكثر من خمسمائة مليون .

وقد أتيح للغة العربية فى أثناء الحروب الصليبية فرص للاحتكاك باللغات الأوروبية الحديثة ، فاقتبست منها هذه اللغات كثيرا من المفردات ، وتركت فيها بعض الآثار .

وفى العصور الحديثة كثرت فرص الاحتكاك بينها وبين هذه اللغات وتنوعت أسبابه بفضل انتشار الثقافة الأوروبية فى مصر والسودان والشام والعراق وشمال أفريقية، وبفضل البعثات العلمية التى أوفدتها هذه البلاد الى الغرب ، وترجمة منتجات الفرنجة الى اللغة العربية ، فتأثرت بذلك اللغة العربية أيما تأثر بهذه اللغات فى أساليبها وأخيلتها ومعانيها ومنهج علاجها للمسائل ، ونشأت بها فنون جديدة كفن القصص المسرحى وما اليه ، وانتقل اليها كثير من المفردات الأوروبية فى مصطلحات العلوم والفنون والمهن والصناعات ، فازدادت بذلك ثروة وقدرة على التعبير .

هذا ، ومن المقرر أن الكلمات المقتبسة تخضع للأساليب الصوتية فى اللغة التى اقتبستها ، فتتشكل فى الصورة التى تتفق مع هذه الأساليب ، وينالها من جراء ذلك تحريف فى أصواتها وأوزانها وطريقة نطقها ، وتبعد فى جميع هذه النواحى أو فى بعضها عن صورتها الأولى . فالكلمات التى أخذتها العربية مثلا عن الفارسية قد صبغ معظمها بصبغة اللسان العربى ، وحرف فى أصواته وفى أوزانه حتى بعد كثيرا عن أصله ـ ومن ثم نرى أن الكلمة الواحدة قد تنتقل من لغة الى عدة لغات فتتشكل فى كل لغة منها بالشكل الذى يتفق مع أساليبها الصوتية ومناهج نطقها ، حتى لتبدو فى كل لغة منها غريبة عن نظائرها

في اللغات الأخرى . فالكلمات العربية التي انتقلت الى اللغات الأوروبية مثلا قد تشكلت في كل لغة منها بصورة تختلف اختلافا غير يسير عن صورتها في غيرها .

وكثير من الكلمات الدخيلة في اللغة العربية قد تغير كذلك مدلوله في العربية عما كان عليه في لغته الاولى ، فبعضها قد خصص معناه العام وقصر في العربية على بعض ما كان يدل عليه (الجون مثلا كان معناه في الفارسية اللون على العموم ، ولكنه قصر في العربية على الابيض والاسود) ، وبعضها عمم مدلوله الخاص فاطلق على أكثر مما كان يدل عليه، وبعضها استعمل في غير ما وضع له لعلاقة ما بين المعنيين، وبعضها انحط الى درجة وضيعة في الاستعمال فاصبح من فحش الكلام وهجره مع أنه ما كان يستعمل في لغته الاصلية على هذا الوجه ، وبعضها سما الى منزلة راقية فاصبح من نبيل القول ومصطفاه .

ويقسم العلماء ما دخل اللغة العربية من مفردات اللغات الأجنبية قسمين : **احدهما** ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم واسلامهم ، والآخر ما استعمله من جاء بعدهم من المولدين . وقد اصطلح المحدثون من الباحثين على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب الى اواسط القرن الرابع الهجري وعرب الأمصار الى نهاية القرن الثاني الهجري (ويسمون هذه العصور عصور الاحتجاج ، اى العصور التي يحتج بكلام اهلها) وان المولدين هم من عدا هؤلاء، ولو كانوا من اصول عربية . ويطلق على ما استعمله فصحاء العرب من الدخيل اسم « المعرب » ، وعلى ما استعمله المولدون من ألفاظ اعجمية اسم « الأعجمي المولد » .

وقد عني علماء اللغة بتمييز الكلمات الدخيلة وحصرها . وألف بعضهم في ذلك مؤلفات على حدة (من ذلك مثلا : « شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل» لشهاب الدين الخفاجي، و «المعرب من الكلام الأعجمي » لأبي منصور الجواليقي .. الخ) ويظهر مما كتبوه في هذا الصدد ان الكلمات « المعربة » ، وهي التي استعملها الفصحاء من العرب، لا تكاد تتجاوز ألف كلمة .

ولا خلاف بين العلماء في جواز استعمال « المعرب» وهو ما استعمله الفصحاء من العرب . وقد ورد كثير من الالفاظ المعربة في القرآن الكريم نفسه وفي أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، فمما ورد في القرآن الكريم من الفارسية « سجل » و « استبرق » ، ومن اليونانية « الصراط » و « القسطاس » و « الفردوس » و « شيطان » و « ابليس » (والراجح أن هذه الكلمات وغيرها لم تنتقل الى العربية من اليونانية مباشرة وانما انتقلت اليها من السريانية أو من فرع آخر من فروع الآرامية وكانت قد انتقلت من قبل من اليونانية الى السريانية او الى هذا الفرع) ، ومن الحبشية : « أرائك » و « كفلين » ، ومن السريانية والعبرية « اليم » و « الطور » و « القوم » و «طه» و «الربانيون» (وقد وضع المرحوم الشيخ حمزة فتح الله رسالة خاصة في المعرب من ألفاظ القرآن الكريم) .

اما ما استخدمه المولدون في مختلف العصور وما أدخله بعض الباحثين في العصر الحاضر او يرى ادخاله في اللغة العربية من كلمات أجنبية تتعلق بالمخترعات او المصطلحات العلمية والفنية ، فقد رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعماله ، معللا قراره هذا « بان في العربية غنية عنه ، ولأن في بطون معجماتها مئات الالوف من الكلمات المهجورة، الحسنة النغم والجرس، الكثيرة الاشتقاق ، مما يصلح أن يوضع للمسميات الحديثة بدون حدوث اشتراك، لأن بعثها من مراقد النسيان والاهمال يصيرها كأنها موضوعة وضعا جديدا » . وقد عني المجمع بتطبيق قراره هذا ، فوضع عددا كبيرا من الاسماء العربية لمسميات حديثة جرت العادة باستخدام كلمات أجنبية في التعبير عنها (وليس منها قطعا ما يتندر بعض الناس به من تسمية السندوتش « بشاطر ومشطور بينهما طازج » !) .

غير أنه قد احتاط للحالة التي قد تدعو فيها ضرورة قاهرة الى استخدام لفظ أعجمي في الشئون العلمية والفنية ويتعذر ايجاد لفظ عربي يحل محله، فاجاز في هذه الحالة فقط استخدام اللفظ الاعجمي بعد صقله بالأساليب الصوتية العربية ، وأصدر في هذا الصدد القرار التالي :

« يجيز المجمع أن يستعمل بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم » . وقد شرح المرحوم الاستاذ الشيخ أحمد الاسكندري هذا القرار في مجلة المجمع اللغوي بما يفيد قصر الرخصة التي يتضمنها على حالات الضرورة التي أشرنا اليها اذ يقول : « فعبارة القرار تقتضي اجازة استعمال بعض الاعجمي في فصيح الكلام . وتقييده بلفظ « بعض » دون جنس الالفاظ يفيد أن المراد الالفاظ

الفنية والعلمية التي يعجز عن إيجاد مقابل لهـــا لا الادبية ولا الالفاظ ذات المعاني العـــادية التي يتشدق بها مستعجمة زماننا من أبناء العرب » .

غير أننا نرى أنه لابأس من فسح المجال للكلمات الاجنبية التي اشتهر تداولها بين الناس في شئون العلوم والفنون والمهن والصناعات والمخترعات ، بل في شئون الفلسفة والاجتماع والسياسة نفسها ، حتى لو كان من السهل ايجاد مقابل لها في اللغة العربية ، لأن اشتهار هذه الكلمات الاجنبية ودقة مدلولها في لغاتها كل ذلك يجعل مقابلهـــا العربي غريبا على الالسنة والآذان ، مضـــطرب الدلالة في الاذهان . ولنا في فصحاء العرب انفسهم أســوة حسنة في ذلك . فكثير من الكلمات الاعجمية التي استعملها فصحاء العرب كان لها نظائر في لغتهم ، ولم يحل هذا بينهم وبين استعمالها وتركها تتغلب على مرادفاتها العربية حتى قذفت بهـــا في زوايا النسيان . فمن ذلك مثلا الفاظ : الورد والنرجس والياسمين والمسك والتوت والباذنجان والكوسج والهون والطاجن والابريق والديدبان والرصـــاص والميزاب واللوبياء والفـــالوذج . فقد قضت هذه الألفاظ الاعجمية في الاستعمال على نظائرها العربية وهي : الحوجم والعبهر والسمسق والمشموم والفرصاد والخدع والأنط والمهـــراس (أو المنحار) والمقـــل والتامورة والعين والصرفان والمتعب والدجر والمبرت والسرطراط . ولعل اتصال هذه المفردات وما اليها بأمور اختص بها الاعاجم ، أو برزوا فيهـــا ، أو امتازوا بانتاجها وكثرة استخدامها ، أو كان ارتباطها بمظاهر حضارتهم أوثق من ارتباطها بمظاهر الحضارة العربية .. لعل ذلك وما اليه كان له بعض الاثر في انتقال هذه المفردات الى ألسنة العرب وتغلبها على نظائرها في لغتهم . ولعل خفة بعضها وثقل نظائرها العربية على اللسان كان لهما كذلك شيء من الاثر في انتقالها وتغلبها .

فلا تثريب علينا اذن اذا ترسمنا خطوات أجدادنا العرب في هذا السبيل ، ففسحنا صدر العربيـــة للكلمات الاعجمية التي اشتهر تداولها بين الناس في شئون العلوم والفنون والمهن والصناعات والمخترعات بل في شئون الفلسفة والاجتماع والسياسة نفسها وتقتضينا السير في هـــذا السبيل ضرورات تزيد كثيرا في قوتها على الضرورات التي دعت أجدادنا في عصور العربية الفصحى الى استخدام الفاظ اعجمية لها نظائر في لغتهم .. » **د. علي عبد الواحد وافي »**

غروب

للشاعر ابراهيم محمد نجا

شاطيء البحر الأحمر عند الغروب .. وأنا وحيد في جدة ، وهي وحيدة في القاهرة

حينما تبصرين في الأفق شمسا
تتدلى على جبين السماء
مثلما تستقر خصلة شعر
ذهبي في وجنة الحسناء
ثم يلقى بها المصير الى البحـ
ـر ، فيمضي بها وراء الخفاء
حينما تبصرينها ... فاسأليها
عن فتى حالم من الشعراء
عن غريب يتيه في البلد النا
ئي .. مع التائهين والغرباء
عن حبيب يبكي على ما تولى
من ليالي الهوى احر بكاء
عن اليف يهفو الى الفه الحا
ني ، ويرنو اليه رغم التنائي
واسري لها حديثك عني
وهو نجوى محبة ووفاء
واعلمي انني هناك بعيدا
أرقب الشمس وهي تغني ازائي
ثم ابكي لضيعة الحسن في اليم
وارثي لمصرع الاضواء
وانادي بها لتشرق عند الصبح
بالحب والسنا والرجاء
مثلما تشرق العروس تجلي
حسنها في الغلالة الحمراء
فاذا اشرقت تسر الى قلـ
ـبي مناجاة قلبك الوضاء
يا هوى مهجتي ويا نور ايا
مي ، ويا سر بهجتي وغنائي
غربت شمسنا غداة افترقنا
فارقبيها في الشرق .. عند اللقاء

بين الفن والعلم

بقلم: أحمد حسين

الفن تعبير عن الجوهر الثابت

أما العلم فموضوعه العرض المتغير

قد يكون هـــذا الرأى بالنسبة للكثيرين لا جديد فيه ، وقد يعتبره اقوام آخرون تجديفا وتهجما على العلم ، أما بالنسبة لى فهو حقيقة اكتشفتها مؤخرا ، وأرى من الخير أن أسجل تجربتى فى هذا الصدد .

كتاب الطاقة الانسانية :

فعندما اعتزمت تأليف كتاب الطاقة الانسانية ، الذى أردت فيه أن أخضع الطاقة الانسانية للمعادلات الرياضية كبقية الطاقات المادية الاخرى ، قررت أن أنقطع لتأليفه وأن أبتئل فى طلب العلم المادى بفروعه المختلفة من طبيعة وكيميـاء وجيولوجيا ... الخ ، وفرضت على نفسى أن ألزم دار الكتب لا أبرحها حتى أفرغ من مطالعة مئات الكتب العلمية ، مهما استغرق ذلك من وقت يتجاوز الشهور الى الاعوام ، وانكببت على مطالعة الفهارس لأعرف بأى الكتب أبدأ ، وأيها أختار واذا بالامر لا يحتاج الى أكثر من بضع دقائق لاكتشف ان هذا البـــحر من الكتب المؤلف عن علم الطبيعة مثلا ، تكفى بضع قطرات منه للاستغناء عنه، شريطة أن تكون هذه القطرات هى آخر ما سكب فى هذا البحر ، واعنى بها الكتب الحديثة المؤلفة فى هذا الموضـــوع ، اذ ان كل ما ألـف فى الطبيعة على مر العصور قد أصبح اليـــوم غير ذى موضوع ، الا لمن يريد أن يكتب عن تاريخ علم الطبيعة وتطوره ، أما بالنسـبة لمن يريد أن يلم بالقـــوانين الطبيعية فى مفهومهـــا الاخير فان آخر كتاب من تأليف اينشتين يغنى عن كل ما سبق ، وليس يغنى كل ما سبق عن كتاب اينشتين ، ذلك ان الاهتداء الى تركيب الذرة ، والتوصل الى شطر نواتها ، وتحويل المادة الى طاقة قد قلب علم الطبيعة والكيمياء معا راسا على عقب .

ووجدت الامر يتضح لى بالنســـبة لاى فرع من فروع العلم ، طبا كان أو هندسة او فلكا ، أو حتى جغرافيا ، والا فكيف أعرف جغرافية العالم كما هى اليوم من أى كتاب كتب قبل اكتشاف الامريكتين ، أو حتى بعد اكتشافهما وقبـــل مسحهما ، وكذلك الشأن بالنسبة لاستراليا ... بل بالنسبة لافريقيا نفسها قبل أن توضع الخرائط لكل جزء من أجزائها، وهو ما لم يتحقق الا قبيل أواخر القـــرن التاســع عشر .

وبماذا يفيد كتاب كيمائى يتحدث عن عنــاصر المادة بل الطبيعة كلها انها تتألف من أربعة بسائط أولية هى الهواء والماء والتراب والنار ، بعد أن عرفنا ان هذه العناصر ليست فى حقيقتها سوى مركبات من عناصر أكثر بساطة وهى الذرة التى قيل فى وقت ما انهـــا تختلف من عنصر الى عنصر واعتبر الكون منطويا على مائة عنصر وثلاثة (حسب آخر احصائية عام ١٩٦٠) وبعـد أن كان يظن أن كل عنصر من هذه العناصر مستقل عن بقية عناصر المادة اكتشف ان طبيعة الذرات المؤلفة لهذه المواد واحدة، فهى كلها تتألف من شـــحنات كهربية موجبة تطـوف حولها شحنات سالبة وهو ما يطلق عليه اسم الالكتروتات والبروتونات .

وهكذا اتضح لى ان من يريد الالمام بآخر معطيات علم الطبيعة أو الكيمياء أو أى علم من العلوم ، فما عليه الا أن يطالع كتابين او ثلاثة ، أو أكثر قليـــلا

ليتحقق له ما يريد وعلى ذلك فقد وجدتني أختصر مدة اقامتي في دار الكتب مكتفيا ببضع عشرات من الكتب الحديثة في مختلف العلوم وهي ما أثبتها في فهرست المراجع في نهاية كل فصل من فصول الكتاب .

وليس الامر كذلك في كتب الادب

وفي الوقت الذي كنت أصل فيه الى هذا القرار بالنسبة للكتب العلمية المكدسة في دار الكتب ، كانت الفكرة المضادة بالنسبة للكتب الادبية والفنية تفرض نفسها على فرضا فلو ان انسانا أراد أن يرتوي من الادب ، وأن يسعد بالشعر والقصص والحكايات والسير فلن يغنيه أى كتاب في دار الكتب عن أى كتاب آخر ، ولن يغنيه أدب عصر عن تذوق أدب عصر آخر ، ولا شعر شاعر عن الاستمتاع بشعر شاعر آخر ، بل ان مطالعته آلافا من أبيات الشعر لأحد الشعراء لا تغنى عن مطالعة قصيدة معينة كتبها هذا الشاعر في مناسبة من المناسبات وقد رأينا تجربة من ذلك النوع بعد وفاة شوقي أمير الشعراء فبالرغم من دواوين شوقي الضخمة المطبوعة والمنشورة ، وبالرغم من مسرحياته الشعرية التي لم يسبق اليها في الشعر العربي ، بالرغم من أغانيه واهازيجه ، فان ذلك لم يمنع أستاذا كبيرا كالدكتور صبرى السوربوني من أن يجمع اشعارا مجهولة الصاحب وأن ينسبها لشوقي بعد تحقيق علمي دقيق ، وأن يصدرها في كتاب كان من أروج الكتب الادبية .

وكذلك الشان بالنسبة لمطالعة القصص ، فلو ان انسانا طالع مئات القصص لكاتب من الكتاب ، فلن يغنيه ذلك عن مطالعة المزيد من قصصه، وايا مايكون القدر الذي يطالعه الانسان من القصص ، فان نهمه لهذا اللون من الفنون لايمكن أن يشبع ، ذلك ان لكل قصة خيالها وطابعها وشخصيتها المتميزة التي لايمكن ان تنطبق على غيرها تمام الانطباق ، كما لا يمكن ان تنطبق بصمة انسان على انسان آخر .

خلود الشعر :

ووجدتني اطيل التامل في هذه الظاهرة الثانية ، وهي اننا نترنم بأبيات من الشعر قالها امرؤ القيس، او بشار بن برد أو عمر بن أبي ربيعة ، او المتنبي او أبو العلاء على الرغم من انقضاء القرون على وفاتهم، وعلى ابداعهم هذا الشعر ، ولسنا نفعل ذلك بالنسبة لأى انسان عاش في هذه العصور أيا كان قدره ، وكان شانه أو كان علمه ، بل ان العامة عندنا تردد اسم ابا نواس باكثر مما تردد اسم هارون الرشيد، وهي اذ تردد اسم هذا الاخير فلانه يؤلف طرفا في نوادر (أبو نواس) ولأنه يقوم بدور رئيسى في قصص الف ليلة وليلة .

ظاهرة انسانية عامة :

وهذا الاحتفال بالشعر والشعراء ، ليس كما يظن البعض خطأ ، ظاهرة خاصة بالعرب ، بل هي ظاهرة انسانية عامة ، فلا تحسب ان أوربا تحتفل لاثر أدبى احتفالها لالياذة هوميروس ، التي لم يقف تاثيرها عند حد ، فاصبحت مصدرا لمئات القصص والمسرحيات والقصائد التي تستلهم أساطيرها وخرافاتها ، حتى ان اسماء ابطالها كاخيل وهكتور وباريس وهيلانه واجاممنون ، تتردد في أرجاء اوربا كما تتردد أسماء الارض والسماء والافلاك والشموس والنجوم .

وانجلترا تكاد تلخص عظمتها في انجابها لشاعرها شكسبير ، وايطاليا لا تعتز بانسان اعتزازها بدانتي شاعرها العظيم ، والمانيا بجوته ، وفرنسا براسين وكورونى وموسيه وفيكتور هيجو ، حتى الاتحاد السوفيتي بكل نظرياته المادية جعل من بوشكين شاعر روسيا القديم علما من أكبر الاعلام التي تعيد طبع دواوينه وقصائده بالملايين، وامتد حماس الاتحاد السوفييتي للشعر حتى شمل شاعر الانجليز نفسه شكسبير فاصبح الاتحاد السوفيتي من أكبر مناطق العالم طبعا وتوزيعا وتمثيلا لروايات شكسبير ممثل الملكية والاقطاع .

الرسم والموسيقى والقصص :

والحق ان الشعر اذا كان يستاثر بالنصيب الاوفر من الخلود، فما ذلك الا لسهولة حفظه وتناقله ، والا فان ظاهرة الخلود تلحق كل مظاهر الابداع الفنى من رسم وتصوير ونحت وموسيقى وقصص، فالدنيا كلها تسعى وتحج لرؤية الآثار الفنية من اى نوع كانت ، وتقف مشدوهة مذهولة أمام ابداع الفنان المصرى القديم وهو يصوغ من حجر الجرانيت انسانا يكاد ينبض بالحياة ، وهو يرفع أعمدة الكرنك شامخة رهيبة حتى تكاد تتحدى الفناء والزمن . وهي تحس هذا الاحساس أمام مبدعات الفنان

الاغريقي ، وكل فنان من العصور القديمة ، ولست أحسب أن هناك أسماء تتردد فى العالم المثقف تخفق القلوب رضا لسماعها ، وتتلهف شوقا الى رؤية او سماع آثارها من أسماء ، بتهوفن وموزار وفردى وشوبان وغيرهم من اعلام الموسيقى او أسماء دافنشى ورافائيل وميكل انجلو من اعلام النحت والرسم او أسماء ديكنز وبلزاك ودستيوفسكى وتولستوى من اعلام القصص ، وليست هذه الاسماء التى سقناها الا على سبيل المثال .

واليوم فى عالمنا المغرق فى المادية والواقعية ، لا يزال الفنانون من مغنين وموسيقيين وممثلين وقصاصين وشعراء ، هم الذين يستأثرون باهتمام الجماهير وحبهم ، ولا احسب أنه يوجد شاب فى طول الدنيا وعرضها لا يعلم أسماء نجوم هوليود بأكثر مما يعرف أسماء الاعلام والمفكرين فى بلاده نفسها .

وما علينا اذا أردنا أن نتمثل هذه الظاهرة فى أعلى صورها الا أن نستحضر موجة الاهتمام والحرارة والشوق الذى يستقبل به ملايين العرب حفلات أم كلثوم ، حيث يجلسون من الخليج الى المحيط ، بل الى ما وراء ذلك وقبل ذلك ، فالفن والاستمتاع بالفن لايعرف حدودا ولا قوميات ، يجلسون جميعا لا فرق بين مصرى أو سورى أو تركى أو ايرانى ، لافرق بين كبير وصغير ، بين تابع ومتبوع ، بين غنى وفقير، فالفن قد سوى بينهم ، ووحد مشاعرهم، واستثار فيهم انسانيتهم فراح الغناء يشجيهم ، وينسيهم بضع ساعات ، الواقع بكل مشاكله ومتاعبه وأحزانه ، ويحلق بهم فى دنيا من الخيال والامل والتفاؤل ، دنيا لا تكدرها الاحزان او النكبات .

ما هو التفسير والتعليل : ؟

والآن ما هو التفسير والتعليل لذلك ؟ اننا ازاء ظاهرتين فى منتهى الوضوح والثبات والاطراد فى القديم مثل ما فى الحديث ، فى الشرق مثل ما فى الغرب ، وهو احتفال البشر بالفنانين فى حياتهم ، واحتفالهم بآثارهم الباقية بعد وفاتهم ، فى الوقت الذى يعيش فيه العلماء والمفكرون بعيدا عن الضجيج واحتفال الجماهير ، فاذا ماتوا لم يذكرهم أحد الا فى أوساط العلماء من أمثالهم .

موضوع الفن :

ولم يكن الجواب على هذا التساؤل صعبا ولا هو بعيد عن متناول الادراك ، فالانسان ، كل انسان ينطوى على قوتين احداهما قوة الغريزة والالهام والوجدان ، وبهذا الطراز من القوة ولد الانسان ، وبها يحافظ على كيانه واثبات ذاته وابقاء نوعه ، وليست المشاعر والاحاسيس والعواطف الا مظهر هذه القوة ، وعن طريق الاحاسيس والمشاعر والعواطف ، يدفع الانسان عن نفسه الاذى ، ويستجلب لها النفع، عن طريق الاحاسيس والمشاعر والعواطف ، يحب ويتزوج وينسل ، مخلدا بذلك نفسه ونوعه ، وهذا القسم من قوى الانسان هو جوهر الحياة ، ولذلك فهو ثابت لايتغير على مر العصور والدهور ، وعلى اختلاف البيئات وتباعد الامكنة ، والعواطف والمشاعر والاحاسيس وعلاقة الرجل بالمرأة هى موضوع الفن الاول والرئيسى ، ومن هنا فهى تتجاوب مع كل انسان فى كل زمان ومكان ، اذ يرى نفسه فيها قوة وضعفا ، نقصا وكمالا ، قبضا وبسطا .

موضوع العلم :

والى جوار هذه القوة الغريزية الفطرية الكامنة فى كل انسان توجد قوة أخرى أكثر تركيبا وتعقيدا ، تنمو وتتطور وتتغير وتتقلب بحسب ظروف كل انسان وبلده ، هى قوة العقل والتفكير التى زود بها الانسان لاشباع حاجاته ، وحل ما يعرض له من مشاكل متغيرة ومتطورة ، ولما كان لكل انسان مشاكله الخاصة به والتى تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فقد اختلفت آثار الفكر والعقل ، فالانسان المشتغل بالصيد له مشاكله التى يبرع فى حلها بما لا يقدر عليه الرجل المشتغل بالزراعة ، كما لا يقدر رجل الصيد على أن يحل مشاكل الزراعة ، وكمالايقدر الرجلان على تفهم مشاكل رجل الصناعة الذى لايعرف بدوره مشاكل الصيد أو الزراعة وهكذا . ومشاكل الرجل العائش عند خط الاستواء تختلف عن مشاكل الذى يعيش عند أحد القطبين ، والعائش على شاطىء البحر ، غير العائش فى أحشاء الصحراء ، والعائش فى السهل غير العائش فوق الهضاب وقمم الجبال ، فلكل من هؤلاء مشاكله الخاصة وحاجاته المختلفة ، واذ كانت مهمة العقل الانسانى هى مواجهة هذه

المشاكل المتغايرة والمتباينة عن طريق التجربة والخطأ والاستفادة بتجارب من سبق، فقد بدأ الانتاج العقلي وآثاره تختلف باختلاف العصور والبيئات، وحسبنا أن تدرس النظريات الفلسفية لكي تحكم بان ليس هناك جامع بينها الا عملية التفكير في حد ذاته ، فما من نظرية الا وتعـارض نظرية وتدحضها ، وما من قول الا وعليه رد ينقضه ، وما من تصـور عقل الا ويهدمه تصور آخر وهكذا ، واذا كانت الفلسفة في نهاية الامر تبدأ مباحثها من أساس متفق عليه يسمى بالبديهيات والمسلمات ، فهذه البديهيات والمسلمات ليست نتيجة العقل والتفكير ، فالتفكير لايستطيع أن يقيم عليها البرهان والدليل ، وانما هي من معطيات الوجدان والفطرة التى فطر عليها كل انسان أيا كان حظه من العقل والثقافة كان يعرف ان الاثنين أكثر من الواحد .

وليس العلم التجريبي نفسه بأوفر حظا في الثبات من العلم النظرى من حيث التبدل والتغير ، يشهد بذلك علم الطب الذى وجد منذ أقدم العصور ، وقد اعتبر علم العلاج دائما ثمرة التجربة ومع ذلك فان أطباء اليوم يعتبرون عـلاج الامس القريب ، خطأ ووهما ، أما علاج الامس البعيد فهو فى نظرهم دجل وشعوذة .

ولا شـك أن علاج اليوم بدوره سيبدو لأطبـاء المستقبل خرافات وأوهاما . والرأى منعقد اليوم على أنه بعد أن يخرج الانسـان من سجن الجـاذبية الارضية ، وينطلق الى الفضاء الكونى عبر الكواكب، سوف يواجه ظروفا تخالف كل المخالفة ظروف الحياة على الارض، وسوف يكتشف نواميس جديدة وقوانين طبيعية جديدة ، وسـوف يخطىء نظريات تعتبرها اليـوم عنوان الصحة ، وسوف يصـوب نظريات نعتبرها اليوم علما على الخطأ ، وسوف يضحك كلما تذكر سياراتنا التى افتخرنا يوما بانهـا تقطع مائة كيلو فى الساعة ، أو بطائراتنا النفاثة التى تقطع الف ميل فى الساعة ، بل ان سرعة الصواريخ اليوم التى تبلغ عشرين الف كيلو فى الساعة ، سـوف تعتبر كحمـار الامس بالنسبة لها ، عندما ينطلق الانسان فى الفضاء بسرعة تقرب من سرعة الضوء .

ولكن هذا الانسان الصاعد الى الكواكب ، سيظل كانسان الغابة الاول ، يحب ويكره ويخاف ويؤمل ويتزوج وينجب الاطفال ، ومن هنا سـوف يقرأ أدبنا ، ويستمتع بفنوننا ، لأنه سيجد فيها مشاعر كمشاعره وعواطف كعواطفه ، وسوف يرى فيهـا أحزانه ومسراته ، وشقاءه وسعادته ، سيرى نفسه لا يختلف عنا ، يولد كما ولدنا ويموت كما نموت، ويبكى كما نبكى ويضحك كما نضحك .

الاديان والعقائد فن :

ووجدتنى وقد وصلت الى هـذا المدى من بحثى وملاحظتى ، أضع يدى على السر الذى تفوقت فيه الاديان والعقـائد على العلوم والمعـارف والفلسفة والمنطق ، ولمـاذا كان بوذا وعيسى وسيدنا محمد يؤلفون أعلى القمم الانسـانية ، ويعلون على الملوك والاباطرة والقياصرة والفلاسفة والحكماء من حيث سلطانهم على النفوس البشرية وكل ما يزداد على مر السنين أثرا فى حياة بنى الانسان . ذلك أن هذا النفر من قادة البشرية ، لم يجيئوا بنظريات علمية . أو حقـائق منطقية ، ولم يتحدثوا بلغـة الارقام والحسـاب ، وانمـا خاطبوا الوجدان والضـمير الانسانى ، خاطبوا المشاعر والعواطف ، خاطبوا فى الانسان ذلك السر الخفى الذى ينطوى عليه ، سر الوجود كله فى كماله ، وجعلوا محور أحاديثهم الاخاء والحب والتسامى نحو المثل الأعلى والكمال ، حيث لا بغى ولا ظلم ، حيث لا عنف ولا عـدوان ، حيث لا مرض ولا ضعف بل ولا موت ولا فناء ، وانما بقاء وخلود وسلام ، وهو ما تهفو اليه الغرائز الانسانية وتتوق اليه .

ولذلك لم يكن عجبـا ان كانت أحاديث الانبياء والرسل حكايات وقصصـا ، وأحاديث عن الغيب والمجهول الذى يحس به الانسان بوجدانه دون أن يتوصـل اليه بعقله ، ولم يكن عجبـا كذلك ان استخدمت الاديان الفنـون دائمـا أبدا لتعميق مفاهيمها ، وارهاف الحس والمشاعر .

الخلود للفن :

وهكذا انتهيت من تجربتى الخاصة الى ان الخلود والبقاء هو للآثار الفنية لا العلمية ، وان القوى التى تحرك الانسان ليست هى القوى التـابعة من عقله وفكره ومنطقه ، بل تلك التى تفيض من مشـاعره ووجدانه وعواطفه .

وان البساطة لا التعقيد ، والتواضع لا التعالى ، والخفى لا الظاهر هو الذى يؤثر فى الكون ويسطر مصير الانسان .

احمد حسين

مع الباحثين عن الحق

بقلم : محمد الغزالي

الدراسات الانسانية التي ازدهرت في عصرنا هذا جديرة بالحفاوة والتدبر •

وكلما اعتمدت على المنطق العقلي ، والملاحظة العلمية ، شدت اليها انتباهنا واستقبلنا نتائجها بمزيد من يقظة الحس والفكر ، لأنها ستزودنا بحصيلة من الحقائق المحترمة والثمرات الطيبة •••

وما تزكو نفس ، ولا ترقى جماعة ، الا بمدى ما تحرزه من الحقائق المعنوية والمادية •

وما يشقى الناس ويضلون الا لاستحواذ الاوهام عليهم ، وانطلاقهم في الحياة على غير هدى •••

ونحن نرجح أن جمهرة البشر تفعل ما تفعل ، وتترك ما تترك عن اقتناع شخصي بصحة مسلكها ، بل قد ترى أن الصواب هو ما تعرف وتالف ، وأن الخطأ هو ما يصنعه الآخرون !!

وثم أعذار تكتنف هذه النظرة الخاصة وتسوغ حيفها في بعض الأحيان ••

فان التدين من أعظم دعائم السلوك الانساني ، ولكن المرء لا يختار ابتداء الدين الذي يسير وفق تعاليمه ••!!

ان البيئة التي ولد فيها هي التي تزوده باركان هذا الدين وتوثق به مشاعره ••

ثم ينمو الانسان ــ بعد ــ وينمو عقله وادراكه لما عنده وعند غيره •

وحينئذ يبدأ جهدا عقليا صامتا للمواءمة بين ما ورث وبين استقلاله الفكرى الواجب !

ويغلب في هذه الاحوال أن يقر ما انحدر اليه عن أسرته وقومه ، فلن يعدم فيه جوانب خير تغرى بقبوله واحترامه ، ولن يعدم عند الآخرين مظاهر نقص تجعله يصد عنهم ، ويرى ما ورثه أحظى بالاستبقاء والرعاية •

واغلب الناس في كل زمان ومكان من هذا القبيل •

وعندما يثور عراك نفسي على شيء من الشدة ، فان الانسان ــ كي يبقى مكانه ــ يضاعف احساسه بما لديه من خير • موهوم أو حقيقي ، ويضاعف احساسه بما عند الآخرين من شر ، موهوم أو حقيقي كذلك •

ثم يظل على عقيدته ومنهجه لايريم !

ومن هنا امتلات الارض باصحاب الملل والمذاهب المتناقضة •

« ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم • »

ويبقى بعد ذلك أن نتساءل : هل الحق هو وجهة النظر التي تكونها الوراثات والبيئات ؟ مهما كانت أثيرة لدى أصحابها ، ومبرأة من كل عيب ؟

والاجابة السريعة : لا •• ! فما أكثر التناقض في هذه الوجهات المتباينة •

ان الالحاد جريمة في بلد قد تؤخر مرتكبها وتسقط منزلته ، وهو في بلد آخر طريق التصدر واحتلال المكانة الرفيعة !

ويستحيل أن يكون كلا الموقفين سليما •

وكم من مسيء خدعته نفسه ، فظن القبيح حسنا واستبطنه عقيدة ، ودعا اليه مذهبا ، ومضى في دروب الحياة يظهر به ويقاوم ماعداه ! ••
وتدبر قول الله جل شأنه :

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه •• »

والعلاج الانجع لهذا التفاوت الشائع بين منازع الخلق وغاياتهم هو تمكين الافكار والمشاعر أن ترى ما لدى الآخرين ، وأن تعرفه على مهل ٠

نعم ، يجب أن تتحطم جدران السجون التي يعيش فيها كثير من الناس ، فلا يرون الا ماهم فيه وتخفيفا لضراوة هذا الخلاف ، وتيسيرا على النفوس الموقرة بموازينها المتناقضة يجب أن تتاح فرص كثيرة للدراسات النظرية التي تجعل «**الانسان**» موضوعها الفذ ٠

ان هذه الدراسات ، خصوصا القائمة على المنطق التجريبي والاستدلال العقلي ، ينبغي أن نعيرها اهتماما زائدا ، وأن نتوسل بها الى اثبات الايمان الحق ٠

وكتاب «**الانسان ذلك المجهول** لالكسيس كاريل» من أعظم الجهود البشرية في ذلك المجال ٠

انه وقفة من الانسان المعاصر ليتامل في نفسه على ضوء التقدم العلمي الساحر الذي بلغه ، وليضبط خطواته ، وهو يجتاز الحاضر الى المستقبل ، مستفيدا من التجارب الحصيفة والمعارف الخصبة التي أتيحت له ، وناقدا الأخطاء التي تسربت الى مسيره على امتداد الحياة من حيث يدري ولا يدري ٠

والانسان كائن عظيم حقا ، ولكنه في غاية التعقيد ـ كما يقول المؤلف ـ « وليس من اليسير الحصول على عرض بسيط له ، وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه أو في أجزائه في وقت واحد ، كما لا توجد طريقة لفهم علاقاته بالعالم الخارجي » ٠

ان أشتات العلوم والفنون التي يستعان بها على فهم الانسان ، قد تلم بجوانب منه ، بيد أنها لن تبلغ غوره ، وسوف تبقى ـ بعد مباحثها الكثيرة ـ فضلة عظيمة صلبة لا يمكن تجاهلها ٠

ان الانسان ـ كما هو معروف للاخصائيين ـ أبعد من أن يكون ذلك الشبح الجامد ، وربما تلاقت جهود شتى على ابراز ملامحه النفسية والفكرية ، فهل استطاعت تلك الجهود أن تستكنه طبيعة الانسان ؟

انه عبارة عن المواد الكيمائية التي تؤلف الانسجة وأخلاط أجسامنا ٠

انه تلك الجمهرة المدهشة من الخلايا والعصارات المغذية التي درس الفسيولوجيون ـ علماء وظائف الاعضاء ـ قوانينها العضوية ٠

انه ذلك المركب من الانسجة والشعور الذي يحاول علماء الصحة والمعلمون أن يقودوه الى الدرجات العليا في أثناء نموه مع الزمن ٠

انه ذلك الكائن الحي العالمي الذي يجب أن يستهلك ، من غير انقطاع ، السلع التي تنتجها المصانع حتى يمكن أن تظل الآلات التي جعل لها عبدا دائرة بلا توقف ٠٠ ولكنه قد يكون أيضا شاعرا أو بطلا أو قديسا ٠ انه ليس فقط ذلك المخلوق الشديد التعقيد الذي تحلله فنوننا العلمية ، ولكنه أيضا تلك الميول والتكهنات وكل ما تنشده الانسانية من طموح » ٠

وروعة الكيان الانساني لفتت مفكرينا من قديم ، وجعلتهم ـ على طريقتهم النظرية ـ ينوهون بهما ويومئون الى اسرارها ايماء المبهور بما وراءها ٠

وانك بعد أن تعي كلمات « ألكسيس كاريل » عن الانسان ، تقرأ هذه الأبيات للعز بن عبد السلام، فتجد أن النظرة واحدة ، والتقدير متساو ، وان اختلف التصوير على اختلاف العصور ٠

قال العز :

اذا كنت تقرأ علم الحروف
فشخصك لوح به أسطر

وتمثال ذلك انموذج
لكل الوجود لمن يبصر

حروف معانيك لا تنجلي
لذى الجهل ، كلا ، ولا تظهر

ومن يك غرا بأسرارها
فمعروفها عنده منكر

اذا كان جسمك جسما صغيرا
ففيك انطوى العالم الأكبر

فلا ذرة منك الا غدت
بها يوزن الكون ، بل أكثر

ولا قطـرة منك الا وفي
ينابيـع أسرارها أبحر

وكل الوجـود اذا قسـته
اليك فذاك هو الأصغر

وما فيه من عرض حاضر
يزول وانت به جوهـر

فانت الوجود وكل الوجود
وما في وجـودك لا يحصر

ولسنا بصدد احصاء النصوص الاسـلامية التي تعلي مكانة الانسان وترفع قدره ...

فان موضوعنا تتبع الكفاح الانساني في هـذا المضمار ، مقارنا بالتوجيه الديني .

❊❊❊

ومن الملاحظ أن الدراسات الانسـانية تجيـد وصف الانسان ، ومتابعة نشـاطه المادي والمعنوي متابعة دقيقة .

ويمتاز العصر الحديث بأنه تخلص من الطرق العقيمة التي سارت عليها الفلسـفات القديمة في فهـم الانسان ، وطبيعة وجوده ، وغايته من الحياة .

وانه اعتمد على أسلوب علمي رائع اقترب به من الواقع ، وابتعد به عن الحدس ،

ومن هنا نستطيع القول دون مخاطرة : ان هذه الدراسات تقرب الناس من الدين ، لأنها تقربهم من الفطرة .

وعندما ينتفي من الحياة الانسانية الوهم والعوج، فلن يبقى الا شيء واحد ، هو الايمان .

« ان ربي على صراط مستقيم » .

❊❊❊

والدين في نظرنا هو المصدر الأوحد للحقيقـة الكاملة .

واذا كانت تعاليمه غير مسهبة في وصف الانسان جسدا وروحا فهي قاطعة في تقرير ما يجب عليه ، وما يجمل به ، أي أنها قدمت الثمرة دون عناء ، أو النتيجة المستخلصة دون ابراز لمقدماتها .

أما الدراسات الانسانية فهي وصافة للانسان ، مصورة لمادته ومعناه في الأعم الأغلب ، وقلما تضع قدميه على الصراط المستقيم بعد ذلك الجهد .

وامثل السبل هـو الجمع بين الأمرين : الاحاطة بالوحي الالهي المعصوم ، الذي رسم للانسان وجهته في صدق ، وكفل له ماينشد لنفسه وغيره من خير، والاحاطة بالفكر الانساني الذي تعمق بحث الانسان واجهزته البدنية وملكاته النفسية والعقلية ، وأحواله الاجتماعية المتشابكة مع غيره من الناس .. ! هذا المزج جليل الفائدة لأنه يتيح لعلمـاء الدين اطلاعا واسعا على طبيعة الانـسـان المجـردة ، وحاجاته الحقيقية ، وهو في الوقت نفسه يرى العلماء المدنيين الأشفية التي وضعها الله لذهاب العلل ، والوسائل العملية لارتقاء البشر ، وزكاة نفوسهم وأحوالهم .

ولما كنت أحد الموصولين بالمعرفة الدينية ، ومن أولي الغيرة على تراث السماء ، فاني أحب تخليص الثقافة الدينية من كل ما يعجزها عن اداء رسالتها، أو يضلل سعيها الى غايتها .

وما بي رغبة في تتبع عيب أو كشف مثلبة ، انما هي الرغبة العميقة أن ينجح الدين في اكتساب الخلق الى منهجه وجمعهم تحت لوائه .

لقد لوحظت هنات على المتدينين تستوجب النظر .

ان الصلاح الحق ينشأ عن صحة النفس ، وبراءتها من أسباب السقم .

ولنضرب الأمثلة لما نريد حتى تتضح صورته .

عندما يكون الطريق كثير الحفر ، متموج السطح، فلا صلاح له الا ردم حفره وتسوية سطحه .

وعندما يكون الخيط ملتوي الفتل ، مشدود العقد فلا طريق لاسترسـاله واستقامته الا بفـك عقده وارخاء ليه .

❊❊❊

عندما تكون أسـلاك الكهرباء مقطوعة فلن يسري التيار الا اذا التحمت الأسلاك وتم اغلاق الدائرة .

هذه مسلمات لا تحتمل جدلا .

والنفس الانسانية كذلك عندما تعج بوساوس الشر ، وتضطرب بها أساليب الفكر فليس يصلحها تغطية هذه العيوب بثوب من المراسم والمناسك ، فان التزكية المنشودة لا تتحقق الا بالشفاء من هذه الآفات « **ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها** » . وشارات التدين واجبة الرعاية ، وشرائع الصلاة والصيام وما اليها ، لا يمكن التهاون بها ولا التنازل عنها .

بيد أن بعض الناس يسيء الى الدين عندما يهمل تهذيب طباعه وتقويم عوجه ، ثم يحرص على الاستمساك بشعائره ، كما يمسك الملوث قطع الصابون بيده ، دون أن يذهب بها درنا . والأديان دائما تصاب من سوء الفهم لها ، ومن سوء العمل بها .

وقد أرمق شخصا من غمار الخلائق ، لم يلتصق بالدين التصاقا ظاهرا ، ولم يطبق تعاليمه على نفسه تطبيقا واضحا ، ومع هذا فان ولاءه المحدود لله ، وسيرته السمحة وفق الفطرة العادية تجعله أقرب الى الحق من عشرات الأحبار والرهبان .

❊ ❊ ❊

ولندع ميدان التسامي النفسي بين الأفراد ، الى ميدان الحياة العامة الصاخبة الموارة .

من ستين سنة تقريبا لاحظ أحد المؤرخين النافذى البصر ، أن الصهيونية العالمية تنسج مؤامرة رهيبة لدك المجتمع الغربي ، وقلب نظمه رأسا على عقب ، واشاعة الالحاد والتحلل في أرجائه ، وضرب دولة بعضها بالبعض الآخر ، والافادة من نزاعها الوحشي في تكوين اسرائيل ، واقامة حكمها الذي يحلم به من قديم « حكماء صهيون » .

فماذا يصنع هذا المؤرخ الغيور ؟ لقد أعلن مخاوفه هذه مقرونة بكشف كامل عن « بروتوكولات حكماء صهيون » ومختومة بهذه العبارة :

« ان الأحداث في العالم تندفع بسرعة مخيفة : فالمنازعات ، والحروب ، والاشاعات ، والأوبئة ، والزلازل ـ والأشياء التي لم تكن أمس الا مستحيلة ـ قد صارت اليوم حقيقة ناجزة . ان الأيام تمضي مندفعة كأنها تساعد الشعب المختار (!) ولا وقت هناك للتوغل بدقة خلال تاريخ الانسانية من وجهة نظر « أسرار الظلم » المكشوفة ، ولا للبرهنة تاريخيا على السلطان الذي أحرزه « حكماء صهيون » كي يجلبوا نكبات على الانسانية ، ولا وقت كذلك للتنبؤ بمستقبل البشرية المحقق المقترب الآن ولا للكشف عن الفصل الأخير من مأساة العالم ... » . قال المؤرخ الطيب ، العظيم الثقة بدينه وقومه .

« ان نور المسيح متفردا ، ونور الكنيسة العالمية المقدسة معا اللذان يستطيعان أن ينفذا خلال الأغوار الشيطانية ، ويكشفا مدى ضلالها .

اني لأشعر في قلبي بأن الساعة قد دقت لدعوة المجمع المسكوني الثامن ، فيجتمع فيه رعاة الكنائس وممثلو المسيحية عامة ، ناسين المنازعات التي مزقتهم طوال قرون كثيرة كي يقابلوا مقدم أعداء المسيح » .

ان الأستاذ « نيلوس » المؤرخ الذي رفع عقيرته بهذا الصياح من نصف قرن ، يطلب كما ترى أن يجتمع مؤتمر مسكوني مسيحي لمواجهة أخطار الصهيونية العالمية وصد أطماعها وضغائنها ..!!

فما الذي حدث اليوم ... ؟

لقد اجتمع المؤتمر المسكوني فعلا ، ولكن ليضع نفسه وأعضاءه ورسالته وكنيسته لخدمة الصهيونية العالمية ، وانجاح قضاياها .

أرأيت كيف يخون الضمير الديني أمانته ، ويرتد على عقبه ، ويعمل مع الشيطان ؟

اننا نلتمس الأعذار ـ كما قلنا آنفا ـ لناس كثيرين قبضوا أيديهم عن الدراسات الدينية ، والطريقة الدينية في قيادة الحياة .

والتماسنا العذر لهؤلاء لا يعني اقرار خطتهم ، أو التهوين من قيمة الدين الحق في الأخذ بأيدي البشر من الظلمات الى النور .

انه ابانة فقط عن أسباب الانحراف البشري وجسامتها .. !!

ونذار الى القادة الدينيين كي يتبينوا ما أمامهم ، ويحسنوا العوائق الهائلة التي تعترضهم ... وفي سبيل انصاف الحقيقة نرجو أن نسير مراحل مع الباحثين عنها ، واعتقادي أننا سنكسب للاسلام خيرا كثيرا من هذه المتابعة المتأنية ، لعل أولها الابانة عن تلاقيه المطلق مع مقررات الفكر الناضج والسجية المستقيمة .

« **محمد الغزالي** »

كلمات العقاد .. للحقيقة والتاريخ

بقلم
محمد طاهر الجبلاوى

قرأت فى الرسالة مقالين بقلم صديقنا الأستاذ **عباس الأسوانى** تحت عنوان « ليست هذه آخر كلمات العقاد »

وقد وقع الكاتب على بضع كلمات فى كتاب صدر اخيرا تحت عنوان « آخر كلمات العقاد » سبق ان نشرت فى المؤلفات التى اصدرها العقاد او فى مقالاته

من ذلك قوله فى هذا الكتاب :

« أنت لا تعرف أنك فى امة أحرار حقا كارهين للاستعباد حقا الا اذا رأيت بينهم لعظماء المطربين شأنا لا يقل عن شأن انداده‍م ذوى المواهب والاعمار والاقدار »

وقد نشر بنصه فى رثاء سيد درويش بجريدة البلاغ منذ أربعين سنة .

وقوله فى نابليون : « كان هذا الرجل يسبح فى لجة من الدم والناس تنظر اليه فلا يعنيهم من أمره الا أن يشاهدوا براعته فى السباحة » وقد حوته مقدمته لكتاب هتلر فى الميزان .

والحق ما ذكره الكاتب من خطأ فى التوقيت على حد تعبيره . ولعل جامع هذه الكلمات لم يجد منها ما يكفى لاصدارها فى كتاب . فضن بها على الضياع وزاد عليها ما اقتبسه من أقواله كما يجرى فى كثير من جوامع الكلم التى تنشر لكبار المفكرين أحيانا .

وقد كنت ارافق العقاد رحمة الله عليه فى غدواته وروحاته . وأشاهده وهو يخط هذه الكلمات فى مفكرات صغيرة كان يحملها فى جيبه . وقد اجتمع منها سبع يوم سفره الى السودان أى منذ أكثر من خمسة عشر عاما ولا أدرى مازاد عليها بعد ذلك .

ولم يعثر الأستاذ عامر العقاد كما سمعت منه الا على اربع من هذه المفكرات . فأين ذهب الباقى وهو كثير فيما اعتقد ؟!

ولا أعتقد أن العقاد حين كتب هذه المفكرات كان يرمى الى ان تنشر على صورة حكم او امثال من تاليفه .

فهو لم يجمع ما اشتملت عليه فى مجموعة او يرتبها حتى تنشر فى كتاب يصدر باسمه وقد طلبت منه نشر هذه الكلمات فلم يجبنى .

كان يكتبها ونحن نسير معا فى زحمة الطريق . وكان يكتبها أحيانا ونحن نجلس فى بعض الاماكن التى يغشاها .

وقد تكون على مائدة الطعام فيقوم مسرعا ليسجل شيئا فى هذه المفكرات فهى من ثم أقرب الى الخواطر منها الى الحكم والأمثال . وان كان الكثير منها تنطبق عليه كلمة الحكمة كما عرفها صديقنا الأستاذ عباس . وان كنت أخالفه فى كتابتها على الطريقة التى وصفها فى صالون مدام سابليه سنة ١٦٥٩ باقتراحات واجتماعات وتحقيقات .

فما كان العقاد ليجرى فى تسجيل خواطره التى وصفناها على هذا النحو وهو ذلك الرجل الانفرادى فى حياته وتفكيره .

كما اخالفه فيما سماه عيوب الشكل فى الكلمات التى شابها تطويل وتفسير على حد قوله .

واقول ان الحكمة قد ترد على لسان الأديب أو قلمه فى كلمة او كلمتين وقد ترد فى عشرات الكلمات وقد تكون فى بيت من الشعر وقد تكون فى عدة أبيات وقد تأتى فى صورة حكايات كما نرى فى كليلة ودمنة وأشعار لافونتين وغيرها .

وقد سموا الفيلسوف حكيما لانه يبحث عن الحقائق ويتقصاها .

اما المثل السائر فيختلف عن ذلك وهو الذى ينطبق عليه قول الكاتب الأديب وقد خصص جزءا كبيرا من بحثه الذى استغرق مقالين فى مجلة الرسالة ، لما سماه تناقضا فى كلام العقاد .

ويطول بنا الكلام اذا أردنا تقصى كل ما أورده فى هذا الموضوع فنتناول منه القليل الذى يدل على الكثير .

يقول الكاتب « ان العقاد يسوق فى صفحة ٩٣ رأيا ينفيه فى صفحة ٩٦ اذ يبدأ العقاد فيعرف الحاسد بقوله « قد يحسدك الحاسد ليصبح نظيرك » ويعود بعد صفحات ثلاث لينفى هذا التعريف نفيا قاطعا ويقول « ليس الحاسد هو الذى يطمع ان يساويك بأن يرقى اليك بل هو الذى يريد أن تساويه بأن تنزل اليه » .

ولا ادرى لماذا ينقل الكلام على هذه الصورة المبتورة فالعقاد يقول :

« قد يحسدك الحاسد ليصبح نظيرك وقد يحسدك الحاسد لتصبح نظيره وهو الأم الحاسدين » .

ولا يراد بهذا الكلام تعريف الحاسد كما راى الكاتب « فقد » فى كلام العقاد اتت مع الفعل المضارع لتفيد التقليل لا لتكون تعريفا يفهم منه التعميم .

ولا تناقض فى هذا الكلام . وقوله فى صفحة ٩٦ ليس الحاسد هو الذى يطمع ان يساويك بأن يرقى اليك ، بل هو الذى يريد ان تساويه بان تنزل اليه . ومن هذا القبيل الرجل العياب الذى يتتبع عورات الناس وسقطاتهم لينزل بهم الى مستواه ويتغافل عن حسناتهم عمدا لانه يعلم من نفسه العجز عن الاتيان بمثلها .

ففضلا عن التجاوز الذى أحدثه الكاتب فى كلام العقاد بنقله منقوصا غير مكتمل فانه فهمه فهما يتنافى مع قواعد اللغة وأصولها .

فليس النفى هنا نفيا قاطعا ملزما بل هو نفى فى مجاز ووراءه تأويل وقد كثر فى كلام الشعراء والبلغاء ومنه قول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء

فالشاعر هنا ينفى امرا واقعا بالفعل ليقارنه بامر آخر يرى انه اشد وقعا واسوا مآلا وهو ميت الأحياء

وعلى ذلك يفهم قول العقاد : « ليس الحاسد هو الذى يطمع ان يساويك بان يرقى اليك ، بل هو الذى يريد ان تساويه بان تنزل اليه »

فالاول ليس شيئا الى جانب الثانى ولا ينفى الثانى وجود الاول كما هو واضح

ومن التناقض فى فهم التناقض قول الكاتب :

« ومن ذلك التناقض ايضا راى العقاد فى بذل النصيحة ، فقد نشر الأخ عامر رايا للعقاد يرى فيه أن بذل النصيحة واجب نحو من يثق برأيك ، وفى صفحة اخرى راى ثان يقرر فيه أن فاقد العقل وحده هو الذى يبذل النصيحة لأى انسان ، فقد جاء فى صفحة ٣١ من الكتاب : انصح من يثق برأيك ويثق بقصدك وفى صفحة ٩٠ : الناصح قد يعقل فى كل شىء الا فى اسدائه النصيحة »

وقد جرى الكاتب فى ايراد هذا الكلام على طريقته فى حذف ما يريد لاثبات ما يريد

فالعقاد لم يقل ما يفهم منه ان فاقد العقل وحده هو الذى يبذل النصيحة لأى انسان ، فقد جاء فى كلامه ما نصه فى الصفحة التى أشار اليها :

« ماذا يقول الناصح العاقل المنصوح الغوى الذى يقول له : أتنصحنى وتزعم أنك عاقل ؟ لو كنت ذا عقل لما أسديت الخير لمن لا يريده ، ولما نصحت من لا يستمع الى نصحك ، ومن لو استمع اليه شق عليه أن يشكره وود لو ينكر نفعه .

الحق أن الناصح قد يعقل فى كل شىء الا فى اسدائه النصيحة .

وانما هو يسديها لما عنده من الرحمة وحب الخير لا لما عنده من العقل والحكمة »

فهل يفهم من هذا ان فاقد العقل (وحده) هو الذى يبذل النصيحة لأى انسان كما فهم الكاتب

الأديب ، وكما اراد ان يفهم ، أن حكمة العقاد واضحة وليس فيها محل للبس .

ويعود الكاتب فيتكلم عن الشكل في قول العقاد : « الرجل الذى يحبه جميع الناس لا يحب جميع الناس » فيرى ان الحكمة لا تؤكد حقيقة فمن ناحية الشكل استخدم استاذنا العقاد كلمة « جميع الناس » وهو استخدام فيه اسراف لأنه لم يخلق بعد هذا الانسان الذى يجمع عل حبه الناس .

ونقول له : ان لغتنا العربية لها مفهوم آخر غير الذى فهمته ، فالناس هنا فى كلام العقاد عموم يراد به الخصوص ومنه قول الشاعر ، وكل ناطقة فى الروض تطربنى ، وهو يريد الحمائم والطيور المغردة ومنه قول شوقى :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت

فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ويقصد الأخلاق الفاضلة ومنه قولهم من احبه الله احبه جميع الناس والتعميم هنا مقصود به الخصوص وله باب فى علوم البلاغة نرجو أن يرجع اليه

ولم يقف العقاد عند حد الجملة التى وقف عندها الكاتب ففسرها بقوله : « لأن المحب يصادق ويعادى فى سبيل المحبوبين ومن صادق وعادى لم يسلم من الأعداء » وقد تجاوز عن هذا التفسير الواضح بقوله : « ليس من الضرورى المسلم به أن الرجل الذى يحبه معظم الناس لا يحب الناس فقد ظفر الأنبياء والقادة واصحاب الرسالات بحب معظم الناس ولم يقل أحد انهم لا يحبون الناس ، اذ انه من المسلم به أن الأنبياء واصحاب الرسالات كانوا يحبون البشر حبا عظيما شمل خصومهم قبل انصارهم »

وليس صحيحا ان الأنبياء والقادة واصحاب الرسالات كانوا يحبون خصومهم قبل انصارهم بل لقد حاربوا خصومهم وقاتلوهم فى سبيل اعلاء كلمة الحق والدين ونزلت الآيات القرآنية بمقت الكفار والمنافقين

ومن احب الخير كره الشرير ومن احب الصادق كره الكاذب ومن احب الصريح كره المنافق

ويقول العقاد عن بعض القادة : انهم جمعوا بين قوة الرجل وقوة المراة فبلغوا مرتبة السيادة ومعنى القوة هنا المزايا ولا شك أن من جمع مزايا الجنسين كان رجلا ممتازا ولكن الكاتب يرى أن هذا المزيج يمكن أن يؤدى بصاحبه الى أن يكون خنثى اقل من الرجل ومن المراة على السواء . ولا يمكن أن يفسر كلام العقاد هذا التفسير كما هو واضح

وقد ثبت علميا أن كل رجل يحمل شيئا من هرمونات الأنوثة الى جانب هرمونات الذكورة .

ولذلك شرح كبير اورده « اوتوفيننجر » وبينه استاذنا العقاد فى كتابه «هذه الشجرة» فهل يفهم من هذا أن كل رجل خنثى ؟ انه راى بعيد عن الصواب ولا اقول أكثر من ذلك :

وبعد فهذه ملاحظاتى على بعض ما اورده صديقى الأديب الاستاذ عباس الاسوانى وكان حريا به أن يستكنه معانى هذه الكلمات النفيسة ويظهرها لقرائه بدلا من أن يناقضها بهذه الصورة العجيبة .

« محمد طاهر الجبلاوى »



القصة العربية القديمة

للدكتور أحمد كمال زكى

- ٢ -

يمكن فى ضوء ماقدمنا عن القصة خلال القرون الثلاثة الاول من التاريخ الهجرى ان نميز عدة ملامح اساسية فى تاريخ هذا الفن العريق . **اللمح الاول** هو توزع عملية القص بين مجالس اهل الذكر حيث القصص الوعظى الخالص وان لعب الخيال فيه دورا ما ، وبين مجالس السمر واللهو . وثمة قصص التسلية والمفارقات والمغامرات . ولا يغيب عنا مطلقا – الى جانب ذلك – توفر عنصر القصة فى اغلب مااثر عن التراث العربى القديم ، ككتب المغازى ومن قبلها موسوعات التاريخ التى ستوضع فيما بعد على يد المسعودى وابن الاثير وابن الجوزى .

اللمح الثانى وجود الكاتب الذى حاول ان يؤرخ القصة العربية منذ عهد مبكر ، واعنى به الجاحظ الذى ضمن كتابه « البيان والتبيين » قوائم وافية باسماء القصاصين مع نتف من اخبارهم . وقد وقفنا فيه على سوء ماآلت اليه القصة من ناحية هبوط مستواها الجماهيرى وان كثر عدد المهتمين بها ، وان شئنا التحديد قررنا ان قصص السمر واللهو لم يعد يرضى العلماء فهاجموه ، وقد رصد هجومهم هذا عدة كتاب ذكرنا منهم اباطالب المكى وابن الجوزى ، ومن بعدهما نذكر السيوطى فى كتابه «تحذير الخواص من اوهام القصاص» . وطبيعى ان هذا كله لايعنى انكارا للقصة الوعظية ،

اللملح الثالث : ظهور عدد من الكتب الرءوس اهمها «التيجان» و «كليلة ودمنة» و «الف ليلة وليلة» : الاول مؤلف ، والثانيان فيهما شبهة الترجمة . وقد نص ابن النديم فى «الفهرست» على ان اصل الكتاب الاخير كان موجودا فى الفارسية بعنوان «هزار افسانة» وذكرته انا مع التيجان وكليلة ودمنة – مع انه وضع سنة ٣٧٧ – لان سياق ابن النديم لذكره يدل على معرفة المسلمين به مترجما من الفارسية الى العربية قبل هذا التاريخ بمدة .

والملحوظ بصفة عامة ان «التخيل» كان قوام تلك الكتب السابقة ، فوهب بن منبه او عبيد بن شرية فى التيجان يطلق زمام خياله فيما يحكيه عن ملوك اليمن وابطالهم ، وان اصطنع كل منهما متعة السند ، وابن المقفع لايعنيه الا الاقصوصة بما تشتمل عليه من طرافة وتوعية ، ومؤلف «هزار افسانه» يفوق الجميع بتصوراته الجامحة حتى ليلغى الحدود بين الحقيقة والوهم وبين الواقع والحلم .

ويبدو ان « الف ليلة وليلة » قد اتسع نطاق تداولها بين العامة حتى فسدت لغتها بفساد لغة القصة بعامة ، وكان ابن النديم قد نص على ان فصحاء المسلمين تجردوا لها . فكان لابد من ان يقرع ناقوس الخطر هؤلاء المهتمون باسباب الثقافة العربية ، وظهر النفر الذى لم ير مفرا من الارتفاع بمستوى قصص التسلية مادام العامة قد شغفوا بها الى هذا الحد الكبير .

وهكذا بدأت عملية التهذيب اللغوى فى بناء القصة ، وحمل لواءها ابن دريد الشاعر العالم اللغوى صاحب الاحاديث المشهورة التى جمع

بعضها ابو على القالى فى اماليه ، ونوه بها الحصرى فى «زهر الآداب» ، وكان معنى هذا ان القصص التى جمعها بديع الزمان فى كتاب مقاماته كانت مرحلة من مراحل تطور القصة عند العرب ، وهى تعقب محاولات ابن دريد مشكلة احدى صور قصص التسلية التى فتن بها العامة فى كل مكان .

ولخطورة هذا التحول ـ ونذكر انه لم يكتب له النجاح الا فى حدود المقامات المقلدة ـ نسجل هنا احد احاديث ابن دريد لنرى كيف كتبت قصة التسلية فى عصر البحث اللغوى الذى يبدأ بالقرن الثالث ويتوج بوضع المعاجم الضخمة كصحاح الجوهرى ومخصص ابن سيده .

قال ابن دريد نقلا عن امالى القالى ، كان مصاد ابن مدعور القينى رئيسا قد اخذ مرباع قومه دهرا وكان ذا مال ، فند ذود من اذواد له ، فخرج فى بغائها ـ قال ـ فانى لفى طلبها اذ هبطت شجرا كثيف الظلال وقد تفسخت اينا ، فانخت راحلتى فى ظل شجرة ، وحططت رحلى ، ووسقت بعيرى ، واضطجعت فى بردى ، فاذا اربع جوار كأنهن اللآلىء يرعين بهما لهن ، فلما خالطت عينى السنة ، اقبلن حتى جلسن قريبا منى وفى كف كل واحدة منهن حصيات تقلبهن ، فخطت احداهن ، ثم طرقت .

فقالت : قلن يابنات عراف فى صاحب الجمل الناف والبرد الكثاف والجرم الحفاف ! »

ثم طرقت الثانية ، فقالت «مضل اذواد علا كد كوم صلاخد ، منهن ثلاث مقاحد ، واربع جدائد ، شنف صمارد !

ثم طرقت الثالثة ، فقالت «رعين الفرع ثم هبطن الكرع ، بين العقدات والجرع ! »

فقالت الرابعة : «ليهبط الغائط الافيح ثم ليظهر فى الملا الصحصح بين سدير واملح ، فهناك الذود رتاع بمتعرج الاجرع !»

قال : فقمت الى جملى فشددت عليه رحلى فركبته ، ووالله ماسألتهن من هن ولا ممن هن ، فلما ادبرت قالت احداهن : «ابرح فتى ان جد فى طلب ، فماله غيرهن نشب ، وسيئوب عن كثب» .

ففزع قلبى والله قولها فقلت : وكيف هذا وقد خلفت بوادى عرجا عكاما ؟ فركبت السمت الذى وصف لى حتى انتهيت الى الموضع ، فاذا ذودى روائع فضربت اعجازهن حتى اشرفت على الوادى الذى فيه ابلى . فاذا الرعاء تدعو بالويل ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : أغارت بهراء على ابلك فاسحقتها فامسيت والله مالى مال غير الذود ، فرمى الله فى نواصيهن بالرغس ، وانى اليوم لأكثر بنى القوم مالا» .

هذا حديث مصاد بن مدعور عن خروجه وطلب الذود وما اخبره به الجوارى الأربع الطوارق بالحصى ، وبالمناسبة نرى موقفا يكاد يشبهه فى المنظر الثالث من الفصل الاول من مسرحية **«ماكبث»** التى كتبها شيكسبير .

لكن من المؤكد ان كثيرا من الدارسين لايمكن ان يوافقوا على ان ذلك الحديث ـ وهو مفعم بالغريب الذى نراه مشروحا فى نهاية المقال ـ من قبيل قصص التسلية ، غير اننا مادمنا نضع فى حسابنا عملية التخيل كفاصل بين القصة الوعظية وغيرها ، فانه يكون من الضرورى التسليم بفنية هذا الحديث على اساس انه قصة ـ وفيه حدث متطور ونهاية محددة ـ بغض النظر عن التلقينية اللغوية التى تبرز من بين اهدافه ، فالتهذيب اللغوى لاينفى فنية القصة قط !

واما بالنسبة لمقامات بديع الزمان ـ الذى ولد سنة ٣٥٨ هـ وعاش اربعين عاما فقط ـ فالامر فيها اسهل واقل تعقيدا ، لان المتفق عليه انها قصص عامية كتبها عربى متعصب للعروبة وان يكن ثمة مستشرقون يرون انه استوحاها من الفارسية والسنسكريتية وبعض حكايات الكتاب المقدس .

وقد يكون تحول القصة عند بديع الزمان على ذلك النحو ضربا من الحرص على لغة العشيرة ، ولاسيما ان موضوعها «الكدية» مما يخلق تناقضا بين الشكل والموضوع ـ وقد يكون تجاوبا مع القصص العامى . الا ان الشىء الذى لاشك فيه ان كل مافيها مخترع ، واصبحت شخصية بطل

المقامات او معظمها ـ وهو أبو الفتح الاسكندري ـ بطلا من ابطال القصص المشهورة يقف جنبا الى جنب مع احدب هوجو وابله دويستويفسكي وغيرهما وبروع قارئيه بمغامراته وذكائه ولباقته وسعة حفظه للاشعار والطرائف .

وهنا تقف لنسأل هذا السؤال التالي : ما محصلات المسلمين حتى القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى ـ من الفن القصصى كله ؟

من الخطأ حقا ان نزعم اننا قادرون على الاحصاء لكن المؤكد ان تصنيفه يكفي ـ ولو مؤقتا ـ فيما نحن بسبيله من هذا التاريخ الموجز، ويجب هنا الا نخلط بين النوعين اللذين سبق تعيينهما ، فكل منهما كل تندرج تحته اجزاء ، وفي رأيي ان القصص العربي كان اذ ذاك اساطير وامثالا ومخاطرات فروسية ومغامرات عشق وحكايات مكدين وحيوان الى جانب القصص الديني ـ ومنه سيرة ابن هشام ـ ثم مايدخل في نطاق الاخبار المنمنمة على مانرى في اغاني ابي الفرج !

وهكذا نرى الى اى حد كانت مخصبة حياة العرب الفنية ، والى اى حد اخطأ الدارسون في حشد جهودهم من اجل الشعر ، وقبل أن نمضي مع الزمن نحاول ان نتعقب القصة العربية ـ بهذه الخطوط والمضامين العامة ـ وهي تبسط سلطانها على ادب الغربيين ، والامر قد يبدو غريبا لأول وهلة لاسيما ان اوروبا حتى القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين كانت تعيش عالة على الثقافة اللاتينية ـ وهذه كان فيها قصص اشهرها دافنس وخلواـ ولكن شعوبها لم يفتها على الاطلاق ان تنظر الى القصة العربية وتتأثرها ، وقد تم اتصال هذه الشعوب بتلك القصة عن طريقين : **اولهما** ، الاندلس وصقلية ، **وثانيهما** الحروب الصليبية التى اشتعلت في مناطق الثغور الاسلامية .

لقد ثبت فعلا ان كثيرا من الحكايات الاوروبية التى ذاعت كانت من وحى العرب ، وفي عصر النهضة تأكد ان دانتي عرف قصة المعراج كاملة من كتاب عربى حظر تداول ترجمته اللاتينية بابا روما ، كما تأكد ان بوكاشيو كتب الديكاميرون ـ اى الصباحات العشر ـ وهو ينظر في الف ليلة وليلة ومن بعده احتذى فرنسيسكو ذي باربرينو (١٢٦٤ ـ ١٣٤٨) روايات العرب في العشق .

ويمكن على هذا النحو ان نرى الاصول العربية عند سرفانتس ولافونتين، وسير والترسكوت وغيرهم كما يمكن أن نجد القصة المقامية في نحو ماظهر عند قصاصي بيكاردى وشمبانيا ، على الرغم من اننا نجد العناية اللغوية الحادة في «حكايات ملطية» التى كتبها اريستديس الملطى قبل الميلاد بنحو قرنين .

فهذا النوع من القصص لم يكن موجودا فى المؤلفات الكلاسيكية . على انه فى منتصف القرن الخامس عشر عرف الغربيون القصص والروايات التى تبعد عن حكايات الشعب وخرافاته ، وتبعد فى الوقت نفسه عن الصنعة البيانية ، ولايمكن ان نزعم ان المسلمين كانوا يسيرون على النمط نفسه ، فهم فى الواقع اخذوا ابتداء من القرن الخامس او قبل ذلك بقليل يفرقون فى محلياتهم التى شهر منها « الأميرة ذات الهمة » و «عنترة» و «سيف بن ذي يزن» ولكن لهذا حديثا آخر نعود اليه فيما بعد بالتفصيل .

د . احمد كمال زكى

تهميشات

مرباع : ربع الغنيمة

ذا مال : ذا ابل وكانت الابل تسمى مالا

ذود : مابين ثلاثة جمال الى عشرة

تفسخ ابنا : اصيب بالتعب الشديد

رسخت بعيرى : شددت رسخه

السنة : النوم او اول النوم

الجمل الدباق : العالى

الجرم : الجسد

علاكد : جمع مفرده علكد وهو الصلب

كوم : جمع مفرده كوماء وهى عظيمة السنام

صلاخد : جمع مفرده صلخد (بضم الصاد وفتحها وكسرها) وهو القوى

مقاحد : غليظة السنام

حدائد : جمع مفرده جدود وهى التى انقطع لبنها

صمارد : قليلة اللبن

شسف : جمع شاسف وهو الذى ضمر او يبس لحمه

الكرع : الماء الذى ينزل فيستنقع

العقدان : ماتعقد من الرمل

الغائط : المطمئن من الارض .

الأفيح : الواسع

الملا : الفضاء

الصحصح : الصحراء

الأمرع : المكان لاينبت اى شيء

فرجا : حوالى خمسمائة .

عكاما : كثيرة

اسحقتها : استأصلتها .

الرغس : النماء والبركة

دراسات فى الأدب الأسيوى الحديث
شعراء البنغال
٢

نذر الإسلام
الشاعر الإسلامى الثائر
بمناسبة عيد ميلاده ٢٥ من مايو

بقلم : محمد حسين

ترجمة : عبد الله حسين

من كوخ صغير ، بالحى الاسلامى بانتال ـ كلكتا ، انبعث صوت قوى أحدث ثورة فى أعمال فكر البنغال وفنها • هذا الصوت الثمل بالموسيقى ، المتحرق شوقا للتحرر من ربقة العبودية التى فرضها الحكم الاجنبى ـ كان صوت « نذر الاسلام » ٠٠ الرجل الذى تحتفل الأمة الباكستانية كل عام بعيد ميلاده مطأطئة لعبقريته

ـ فى حين أنه قابع فى احدى المصحات العقلية لا يعى شيئا ! انه حطام ليس فيه سوى عينين واسعتين تنساب منهما الدموع غزارا ، وأصابع تعبث بأوتار آلة موسيقية ـ هى نفس الأصابع التى هزت أوتار اليقظة فى باكستان !

لقد كانت حقبة خطيرة فى تاريخ البنغال السياسى والأدبى ـ اذ منح طاغور جائزة نوبل كشاعر فذ ، وعميد للأدب البنغالى٠٠ ثم ظهر نذرالاسلام ، كنبتة تفجرت فى الحقل الأدبى ودوى صداها فى الآفاق التى كان يسيطر عليها الزبانية من أعداء النهضة الاسلامية ٠٠٠

وتعتبر الفترة التى تلت ظهور نذر الاسلام من أدق الفترات التى مرت بتاريخ الأدب البنغالى وأكثرها ابداعية ، بل أنها تركت آثارا بعيدة الغور فى شبه القارة بأكملها •

فلقد كان تعبير طاغور محصورا فى الطبقات العليا والمتوسطة• فطاغور هو خالق الأدب البورجوازى • ولشهرته فى أوساط الأدب والثقافة العالمية ، كان طاغور ثمرة الثقافة البورجوازية التى خلقها الحكم الأجنبى ورعاها فترة تقرب من مائة وخمسين عاما •

ولم تكن هذه الثقافة قريبة من الجماهير البنغالية ، أو هى لم تكن على اتصال بهم اطلاقا ٠٠ فلقد فشلت الأعمال الأدبية للبورجوازيين فى شد هذه الجماهير اليها • وظل طاغور ـ لقربه من المجتمعات الأرستقراطية فى العالم ـ بعيدا ، بل مجهولا بالنسبة للجمهرة الكبيرة من أهل بلده •

وجاءت أعمال نذر الاسلام لتصبح رباطا وثيقا بين قلبه وقلوب الملايين الخرساء التى يعج بها وطنه • فلقد شن الشاعر حملات شعواء على العبودية التى فرضها الحكم الاجنبى ، وعلى السلوك غير الانسانى للارستقراطية المتحكمة ، وعلى المشاريع الاستعمارية التى دقها الرأسماليون كالأسافين فى جسد بلده •

لقد وقف نذر الاسلام فى وجه كل تفاوت طبقى ، نصيرا لكل معذب فى الارض أخرسه الاضطهاد • وكان العبء الذى يخترق منه أقنانه وأشعاره : آلام الناس وعجزهم وبؤسهم • وكانت شكاواهم هى الشرارات التى تندلع من قصائده • لقد كان الشاعر صوت الأرض الذى انساب من بين أنامل المضطهدين ، حتى لقد أطلقوا عليه : « قيثارة البؤساء » !

ان نذر الاسلام الشاعر ثائر ، أو هو ثورة شاعرة • ولقد وصفته الدوائر الرسمية بأنه : « ظاهرة ثورية عجيبة فى الشرق » • ان وطنه الدامى الراسف فى قيود الاغلال والعذاب قد افعم قلبه بالسم • وكان الفقر الذى تعرض له هو ، والملايين من بنى وطنه، قد أثار حدته وضراوته لسيفه الذى امتشقه فى مواجهة كل نظام اجتماعى يورث الانسان ظروفا غير انسانية !

ان قصيدته ـ « القيثارة المشتعلة » ، و « نادى السم » كانتا جمرتين قاتلتين لاستبداد الحكم الاجنبى حتى لقد حظرت الحكومة نشرهما • ففيهما يهيب الشاعر بالشباب أن يحطموا كل القيود التى تكبل شعبهم ، وأن ينفروا لمعركة النصر •

• محمد حسين ، كاتب وصحفى باكستانى ، من مواليد شرقى باكستان عام ١٩٢١ • بدأ حياته العملية محاضرا فى الأدب الانجليزى بجامعة كلكتا • ثم انتقل الى وزارة الاستعلامات والاذاعة الباكستانية • وفى عام ١٩٥٣ نال درجة الدكتوراه فى الصحافة من جامعة منيسوتا بالولايات المتحدة • والتحق بعد ذلك بالسلك الدبلوماسى ، وقد عمل فترة ملحقا صحفيا بسفارة الباكستان فى القاهرة •

هكذا بدأ نذر الاسلام رسالته الثورية . لقد كان ينشد أغاني أولئك الذين :

« بالكبرياء المشرق في القلب
والسيف المسلط في اليد
ينطلقون وراء المستحيل

***

الذين في زحفهم المتقدم للحياة ،
يقوضون في طريقهم
معابد آلهة الشر
وحانات المنافقين .

والذين تتفجر روحهم القوية ،
رغم الأغلال
واكوام القزعبلات
ونفايات المعتقدات العفنة .

***

الذين ينطلقون في خطوات متسقة النغم
الى الامام مع الدنيا في زحف الحياة
وقد تصدروا الركب العظيم ! » .

هذا الاتجاه نحو الحياة كان شيئا جديدا على البنغال . لقد أخذ الشاعر يستنهض همم الشباب المسلم لتلقى العبرة من تاريخه التليد . وأن يجعل هدفه وضع أسس بنيان جديد راسخ لأمته . ان تحقيق هذا الهدف ـ كما قال لهم ـ عظيم وأكيد ، بيد أن الطريق محفوفة بالصعاب والمكاره .. ومن هم أجدر بذلك من الشباب ؟

لقد كان الشاعر براونلنج معروفا بالهامه الفلسفي الخارق الذي كانت له آثاره البعيدة في الغرب ، وكذلك كان لنذر الاسلام الهام فلسفي خارق ، ولكن آثاره في الشرق كانت أبعد مدى . فالحياة في نظر الشاعرين مليئة بالصخور والأخطار . بيد أنها لابد بالغة غايتها .

ان شاعرنا يبعث بتحياته المشجعة للمناضلين في طريق الحياة الطويل المتعب ، المحفوف بالمخاطر :

« الليل حالك والصخور تعترض الطريق
صخور صلدة تعترض الطريق ،
ولكن لابد من ان نواصل الزحف .
حذار ! يا رفقاء الطريق حذار !
ان السفينة تترنح ، والموج يطغى
والملاح يضل طريقه
والشراع ممزق ، فمن الذي يبلغ المدى ؟
من يملك الشجاعة ؟
اين ذلك الشجاع ؟
فلتتقدم !
ان المستقبل يناديك بأعلى صوت .
الرياح عنيفة ، ولكن لابد من الثبات !
لابد ان يستمر القارب في السير ! » .

ومن يقرأ أشعار نذر الاسلام لا يملك الا أن يترنم بها . ان في شعره ملامح من الازدراء بالعرف والتحمس للمثالية ونحوهما مما كان يتسم بهما شيلى ، وقبسا من النزعة الديمقراطية المعروفة ووردزورث ، الى جانب الاهتمام بالغيبيات التى تلقاها عن شعراء الفرس . انه رمز ، بل لسان حال اليقظة الجديدة للمجتمع الاسلامي . لقد أكثر من الكتابة في الشعر والنثر ، وهو الى جانب ذلك ملحن موسيقي لا يبارى . فأغانيه التي لا تقف عند لون من الناس قد أمدت التراث الموسيقي بالبنغال بذخيرة لا تنضب .

ومثل هذه الأفكار قد بثت الثورة في حياة البنغال . لقد بدأت فترة جديدة في تاريخها .. فبعد أن قام الشاعر الثائر بتحطيم النفاية المتراكمة التي تمخضت عن الجهل والخرافات ، حرك نفوس الناس ومنحهم رسالة الاقدام والعمل . لقد أهاب بهم : « ان الشيء الوحيد الذي يجب أن تخافوه هو الخوف نفسه » !

لقد أعلن في بطولة أن كرامة الانسان وفكره صاحبان ، ولا يعلو عليهما ، أو يدانيهما ، أي شيء . ان ما جلبه الانسان لأخيه الانسان ، وما يحفل به هذا العصر من أسقام قد ملأه أسى وكمدا . على أنه لم يقدر لهذه الاشياء ، ولو للحظة واحدة ، أن تعكر الهامه ، أو تنال من ايمانه بأن النصر للخير أخيرا .

وحيث كانت روح البنغال وشعرها ، هي روح الخنوع تحت وطأة العذاب ، التي تصورها أصدق تصوير كلمات طاغور : « على تراب قدميك اخفض رأسي ، أتذلل اليك برفعتي ، فأنى أفنى كل لحظة ! » أعلن نذر الاسلام في صوت راعد روح الانسان الذي لا يقهر ـ تاج الخلق جميعا .

« اعلنها ، ايها البطل !
اعلنها على الملا : ان رأسي مرفوعا عاليا
وتنحني امامي
قمم الهملايا ! » .

تلك هي روح الاسلام ـ لا خضوع الا لله ـ مقترنة بروح العمل التي تضمنتها وصيته للعالم .. انهـا الطريق الحق ـ طريق الاسلام نحو القيم الاساسية للحياة : « الايمان بالله والعمل » . انه لم يقتنع ـ كما فعل شيلى ـ بالتعبير عن آرائه فحسب ، ولكنه بروح ايجابية نشطة ، والمقاع « يدوني » اشترك في الحرب العالمية الاولى لمحاربة القوة التي كان العالم الاسلامي يرزح تحت اقدامها .

ان نذر الاسلام يعتبر « باعث الروح في مسلمي البنغال » ، فهو لم يعد بناء اللغة أو ينظم الثورة السياسية فحسب ، ولكنه قدم تفسيرات ملهمة للتعاليم الاسلامية . فالتفسيرات الضيقة للقرآن والحديث وضعت الفكر الاسلامي في مستنقع ظل يحاول الخلاص منه أجيالا عدة .

(البقية على صفحة ٣٩)

حبي

للشاعر:

عمر ابو قوس

هل يشعر الناس بالحب الذى اجد   وهل تحس به الافلاك والأبد
ام انه ذاهب هدرا كما ذهبت   مع الرياح امان ما لها عدد

***

يشوقنى كل ما القى ويفرحنى   كانى بين انواع الدمى ولد
وما نظرت الى اشياء اعرفها   الا توهم قلبى انها جدد
ويلتقى فى هوى نفسى وفرحتها   كل البرية من ضلوا ومن رشدوا

***

لا يعرف الحقد قلبى او يخالطه   ولا يمر ببالى الكيد والحسد
كانى نبعة فى الارض صافية   تحت الخمائل لم يشعر بها احد
تمضى السنون عليها وهى جارية   والناس عن مائها السلسال قد رقدوا
حب تفيض به نفسى ويسعدنى   اذا الانام بما يرضيهم سعدوا
وربما خلت انى استطيع به   سيرا على البحر والامواج تطرد
وان اطير به فى الجو منتالا   كما اشاء ويمضى ضوءى الجسد
وان ارد به الموتى واخلدهم   واجمل العيش لا هم ولا نكد
وان افتح اكبادا مغلقة   فيلتقى الظبى والضرغامة الحرد
وكيف يعجزنى شىء اهم به   وشعلة الحب فى جنبى تتقد
وربما خلت ان الصخر يفهمنى   وانه واجد بى مثل ما اجد
وربما خلته فى صمته زمنا   قلبا تحجر لما عضه الكمد

***

صبابة وتباريح مجنحة   مثل الحمائم فوق الكون تحتشد
تحنو عليه وتهواه وترحمه   ويستوى فى مداها القرب والبعد

حلب ـ عمر ابو قوس

الجواد العربى

للشاعر : على محمد حمد

شاهدته فى حلبة للسباق
اغر .. ميمون الخطا .. كالبراق
يشق امواج الأصيل المراق
اوفى على الغاية .. ثم استفاق
وظل فى المضمار – دون الرفاق
مستوفزا .. يضرب ساقا بساق
واحسرتاه !! للخيول العتاق
تستشرف الفارس ... والمعمعه
يقتحم المضمار .. كالزوبعه
يدف .. بالاجنحة الاربعه
وحوله الآفاق مستطلعه
ولم يصل – بعد – المصل معه
كانه الراهب فى الصومعه
سخطا على « الجوكى » .. والقبعه
تعنو لهذا القزم .. الامعه
ورارات احداقه .. فى اشتياق

❊ ❊ ❊

هذا جواد .. عربى النجار
مآثر الفرسان ... بين القفار
سموءل العهد .. يرعى الجوار
تعلم الباس .. وخوض الغمار
ولم يزل فى الشرق يحمى الذمار
رد الصليبين بعد التتار
وشاد للعمران صرح الفخار
حضارة .. متبوعة .. كالمنار
ما شابه الدهر ... ولا غيره
قد حازها . . مأثرة . . مأثره
ويحسن العفو .. لدى المقدره
من « ابن كلثوم » .. ومن «عنتره»
يقوم – دون الفيل – كالقسوره
وحطم الطغيان .. والسيطره
حتى ارى التاريخ .. ما لم يره
لما تزل بين الورى مفخره

❊ ❊ ❊

فى ظلمة التاريخ والقافلة
وبرعم الحرية .. الذابله
والوحشة الروحية القاتله
طوت حياة المدن الآهله
ارض العروبية .. فى النازله
منارة للقيم الفاضله
دارت بها أفراسها الصاهله
دارت بها – فى اللحظة الفاصله
قد اشرفت – ليلا – على الهاويه
يسحقه .. الكاهن .. والطاغيه
تطوى نفوس البشر الخاويه
وظل خصب الروح فى الباديه
كانت لديها .. اجرعة الشافيه
تالقت فى الليلة الداجيه
تطوى الدنى .. ناحية .. ناحيه
تديل من عسف القوى الباغيه

❊ ❊ ❊

قرات – بالفكر – على جبهته
ابى من قومى ... بقوميته
وظل مشدودا الى امته
سلوه .. عن أبعاد جنسيته
لا « طارقا » نحاه عن صهوته
عروبة .. تصدر عن فطرته
وتجمع الحر .. الى اخوته
شطرا من التاريخ .. لم يكتب
فلم يحد عنها ... ولم يرتب
بعروة الاحساس .. والمشرب
.. وعن حدود الوطن الطيب
ولا « صلاح الدين » فى الموكب
فتمزج الكردى .. بالمغربى
فى وحدة .. رغم اختلاف الأب

(بقية المنشور على صفحة ٣١)

لقد قرب الشاعر للناس معنى الاخاء والمساواة في المفهوم الاسلامي ، كما أن أشعاره عن خالد بن الوليد وعمر الفاروق وغيرهما من قادة الفكر الاسلامي جعلت المسلمين يتذكرون جلال الدور الاسلامي في التاريخ العالمي .

ولقد كان الشعراء المسلمون بالبنغال ممن سبقوا نذر الاسلام يتصرفون كما يفعل الآخرون . فقد خيمت على ابداعاتهم الشكوك والمخاوف . ولم يكن للفكر الاسلامي ولا الفلسفة الاسلامية مكان في أعمالهم ، خشية أن تفتضح هويتهم الاسلامية لدكتاتوري الفكر البنغالي المعاصر ، وخلفهم من الهندوسيين الناطقين بالسنسكريتية . فلقد كان الفكر الاسلامي يعيش في ظل هؤلاء في جو من الارهاب والعبودية الذهنية .

وأوضح مثل على جهود هؤلاء الفراعنة في طمس الفكر الاسلامي في تلك المنطقة أن عددا كبيرا من الكلمات العربية التي كانت شائعة في البنغال منذ بدء الفتح الاسلامي والتي أصبحت جزءا من اللغة البنغالية وانتشرت فيما يقرب من ثمانية آلاف كتاب (بين قصة وشعر) ـ هذا العدد من الكلمات ـ كله تقريبا ـ قد محي على أيدي أولئك الهندوكيين واستبدلت به كلمات سنسكريتية . وأصبح حتما على الكتاب الاسلاميين أن يكتبوا بلغة قائمة على الميثولوجيا الهندية .

ثم جاء نذر الاسلام لينقذ الفكر الاسلامي من الوهدة التي تعرض لها . جاء ليحرر المفكرين الاسلاميين من هذه العبودية . فكان أول ما فعله أن بعث من جديد الكلمات العربية في الأدب البنغالي وكانت نتيجة جهوده ـ وحده ـ أن حوالي ٤٠ في المائة من اللغة المكتوبة والمنطوقة بشرقي باكستان هي من أصول عربية أو أردية

لقد شيد نذر الاسلام للفكر الاسلامي في هذه المنطقة قلعة راسخة البنيان . وستظل هكذا أبدا !

ويقال أن عدد الاغنيات التي كتبها نذر الاسلام قد وصل الى رقم قياسي عالمي . فما سجل له في شركة « صوت سيده » وغيرها من الهيئات الموسيقية يربو على ثلاثة آلاف أغنية ! ان البنغال ـ وهي المعروفة بتراثها الموسيقي العريق ـ قد أثرت اثراء كبيرا في أغاني نذر الاسلام الذي سعى وراء النغمة في أي مكان ، فالتقطها من سماوات ايران ومصر والصين واليابان وروسيا وانجلترا واسكتلندا وغيرها من البلدان ، ثم صب هذه النغمات في ألحان بنغالية أصيلة .

بل انه كان يستلهم لمعاته من الأمواج والعواصف وجميع الظواهر الطبيعية الأخرى . حتى لقد قال عنه نقاد الموسيقى : « انه يمشي فوق موجات من الأنغام » ، وهو في نظرهم أعظم عبقرية موسيقية في الشرق ، في مقدورها أن تقدم للقافيا الكلمة والنغمة في نفس اللحظة !

ان مئات من أمثاله مثل :

« لا تهز الأغصان في الحديقة

أيها البلبل !

فالبراعم لم تستيقظ بعد

من غفوتها »

تتردد على لسان كل فرد في شرقي باكستان . ومكانها في تاريخ الأدب البنغالي آمن مستقر .

لقد استخدم الشاعر الكلمات العربية والأردية بحذق ومهارة حتى أن معظم الكلمات تبدو كعروس بلا زينة . بل انها تفقد روحها وتبدي عاطفتها .

وهكذا قطع الشاعر الثائر ـ الذكي ـ على الفراعنة وأعداء اللغة العربية والاسلام كل محاولة لكتم أنفاس الكلمات العربية التي غزت قلوب الملايين !

❋ ❋ ❋

هذا الشاعر الثائر العظيم

قيثارة البؤساء ..

يقبع اليوم في ركن بإحدى المصحات العقلية ، أخرس عاجزا !

هذا الشاعر الذي صنع جسرا متينا بين البنغاليين واللغة الأردية ، والذي أعد مسلمي البنغال لتقرير المصير السياسي .. قد أضناه فساد العالم وسقمه ، وضياع القيم فيه ، ومحنة الانسان ؟

وطحنه الفقر ، فسقط على أشواك الحياة .. ينزف قلبه ، وينزف عقله .. وغيب في المستشفى منذ عام ١٩٥١ حتى اليوم ، وفقدت الباكستان هاديا وفيلسوفا ..

وان لباكستان أن تمد يد الرعاية لتاريخ هذا الرجل ـ ان كانت قد عجزت عن انقاذه ـ فتنشيء « أكاديمية نذر الاسلام » لترجمة أعماله ، وأعمال تلاميذه من حاملي رسالته ، لكل ناطق بالعربية والأردية ..

ان ذلك سيسهم في تحقيق وحدة الهدف ووحدة العمل التي هي رائد المسلمين في كل مكان ..

عبد الله حسين

دولة الاسلام فى جزيرة العرب تواجه القوى الامبراطورية الكبرى فى العالم

لم يكن الفتح هدفا ... بل ضرورة !!

بقلم : فتحى عثمان

ترى هل كان عمر بن الخطاب حقـــا يستهدف « شغل المسلمين جميعا بالفتوح فى كل الجبهات ... كما ذكر الأستاذ أحمد عباس صالح ؟؟

ان تاريخ الفتوح الاسلامية يحتـاج فى الحق الى كثير من الاضواء ...

انه معروف النتائج ، مجهول المقدمات !!

الناس يعرفون ما انتهت اليه هذه الفتوح ، ولكن قلما يعرفون كيف بدأت !!

اما بالنسبة لعمر بالذات ، فنحن نقرأ فى ثنايا وصاياه لعماله هذا القول :

« ولا تجمروا المسلمين فتفتنوهم ... »

فهو يكره شغل الجند بالحرب طويلا ، واستبقاءهم فى حياة الميدان كثيرا وقد اختطت أمصار المسلمين مثل الكوفة والبصرة لتكون معسكرات للمســلمين «يقيم كل جندىفمعسكره وتخرج من هذه المعسكرات بعوث لحرب العدو ، ونظم امر هـذه البعوث تنظيما دقيقا ، فكانت الجنود لاتجمــر ، والتجمير هو أن يغيب الجندى عن معسكره أكثر من ستة أشهر . وكان هذا هو الذى حمل عمر على أن ينظم الأقاليم أو الأمصار بلغة ذلك العصر ، فجعل دولته أمصارا وهى : الكوفة والبصرة والشام والجزيرة والموصل ومصر واليمن والبحرين » (١)

ولم يكن عمر ـ كما تروى وقائع التاريخ ـ راغبا فى التوسع المسرف بغير مبرر .

(١) طه حسين : الشيخان ص ٢٥٠

لقد اتجهت الفتوحات المبكرة منذ عهـــد رسول الاسلام الى تامين الاســـلام فى الجزيرة العربية ، بتامين حدودها على مشارف الشام الخاضعة للنفوذ البيزنطى .

وفى ربوع اليمن حيث تدخل النفوذ البيزنطى من قبل مظاهر الحبشة ، كما تدخل النفوذ الفارسى مظاهرا بعض الزعامات المحلية . وكان تامين الجزيرة العربية وقيام دولة عربية موحدة فيهـا ذات عقيدة ورسالة يعنى الاصـــطدام بالقوى الدولية وقتذاك المتربصة على تخوم الجزيرة.وكانت مناطق الاحتكاك المنتظر تتمثل فى امتدادات الجزيرة الطبيعية والمجال البشرى الذى بلغتـه هجرات العـــرب فى النطـاق الداخلى من أراضى الهلال الخصيب ، وجاءت بوادر الاصطدام على عهد رسول الاسلام فى مؤتة وتبوك وبعث أسامة الذى أدركته خلافة أبى بكر وقد اكتمل تجهيزه لكن لم ينطلق لقصده (٢) .

ويتحدث الدكتور طه حسين عن مجـــال الجهاد الاسلامىفيقول : « وكان أبو بكر يفكرحين استخلف فى أن ينفذ الخطة التى كان يعـــلم أن رســـول الله

(٢) الدكتور حسين مؤنس : المســلمون فى البحر المتوسط . بحث بالمجلة التاريخية المصرية ـ الدكتور ابراهيم العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية .

سينفذها لو عاش ، وهى تحرير العرب خارج الجزيرة بعد أن أسلم العرب داخل الجزيرة ٠

وقد دفعت الظروف دفعا الى فتح العراق ، وما ارى انه ـ ابا بكر ـ كان يريد البدء به وانما كان اهم شئ اليه ان يتم ماههد له النبى من فتح الشام ، ليحرر العرب المنتشرين فيه من سلطان الروم ولعله ان تيسر له امر الشام ان يفكر فى امر العراق ٠ ولكن الظروف أرادت غير ذلك ، فقد شغل ابو بكر فى العام الاول بحروب الردة ، ولم يهتم بالشام وانما اكتفى بان يحمى حدود الجزيرة حتى لايغير عليها مغير من الشام ٠

وانتصر جيش ابى بكر على المرتدين من ربيعة فى البحرين ، واذا رجل من بكر بن وائل ثم من بنى شيبان يؤمر نفسه على من تابعه من قومه الذين اقاموا على الاسلام ولم يكفروا ، واذا هو يتتبع معه المرتدين من العرب على ساحل الخليج الفارسى ، ويتاح له الظفر فيما حاول من ذلك حتى يشرف على العراق وفيه قبائل من العرب قد انتشرت فيه قبل الاسلام ، فيتمنى هذا الرجل أن يتاح له الامعان فى العراق واخضاعه كله او بعضه لسلطان المسلمين ٠ ولكنه فى حاجة الى أمر من الخليفة يبيح له هذه المحاولة التى لاتخلو من مغامرة ، والتى قد يتعرض فيها المسلمون لألوان من الخطر ، فيذهب هذا الرجل ـ وهو المثنى بن حارثة الشيبانى ـ الى المدينة ويلقى أبا بكر ويحدثه بما فعل ، وبما كان من حرب **للمرتدين من العرب وبما لقى من كيد الفرس هناك** له ومكرهم به فتأليبهم عليه ويطلب الى أبى بكر أن يؤمره على قومه وأن يأذن له فى دخول العراق ومحاربة الفرس ان اجتمعوا له ٠٠٠٠ وقد فكر أبو بكر واستشار اصحابه ثم اذن للمثنى ٠٠ وكذلك تورط المسلمون فى هذه الحرب التى كان اولها ميسرا ، والتى أبلى فيها ـ خالد بن الوليد ـ احسن البلاء ، (ولكن أبا بكر أرسل خالدا الى الشام مددا للمسلمين هناك وقد يثبت العراق على ماتركه خالد عليه من الخضوع لسلطان المسلمين) وليس لذلك مصدر الا أن أبا بكر قد عنى بامر الشام قبل أن يفرغ من أمر العراق انفاذا لما كان النبى يريده ويمهد له من جهة ، وتورطا فى حرب الروم على تعجل منه من جهة أخرى ٠

وكان على عمر أن يسترد العراق ويتم فتح الشام **وكان الذى ورط ابا بكر فى حرب الشام قبل الفراغ من فتح العراق ، أنه اراد أن يحمى حدود الجزيرة العربية مما يلى الشام ، فارسل خالد ابن** سعيد بن العاص وامره أن يقيم على تيماء ردءا لمن وراءه من المسلمين ٠٠ فحمى خالد واصحابه حين رأوا العدو بازائهم ، فاقتحموا عليهم وانهزم لهم عدوهم ، فاطمع انهزامه خالدا فى أن يظفر فى الشام بمثل ما كان يظفر به سميه ابن الوليد فى العراق ، فاوغل فى أرض العدو وتركه العرب والروم يمعن فى ارضهم حتى اذا بعد ما بينه ومابين الجزيرة العربية كروا عليه فحصروه وقتلوا ابنه سعيد ، واضطر هو الى أن يفر فيمن استطاع من أصحابه ٠٠ ومهما يكن من شئ فقد اضطر ابو بكر الى أن يمحو اثر تلك الهزيمة ، فجند جنودا وأمر عليها الأمراء ، وخصص لكل أمير جزءا من الشام يفتحه ثم يكون عاملا عليه ٠٠ » (١)

فقد كان هدف الجهاد الاسلامى المبكر اذن خارج الجزيرة العربية تأمين حدود تلك الجزيرة ، باعتبارها أرض الدولة الاسلامية ، وربما كان هذا التحديد أدق من القول بان الهدف كان هو تحرير العرب ٠

وقد أدى ذلك الى اصطدام الدولة الناشئة بالامبراطورية الساسانية الفارسية ، والامبراطورية البيزنطية ، ومن ثم امتدت الحروب الى عقر ديار الفرس ذاتها فى جبهة ، والى مصر وبلاد المغرب فى الجبهة الأخرى ٠ وجاء عمر ، فلم يشأ أن يجاوز الحد والقصد ، ولم يكن يميل أول الأمر الى متابعة الفتوح فى الارض الفارسية الأصيلة ، ولا فى مصر التابعة للروم ٠

« قال عمر : حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز ، وددت لو أن بيننا وبين فارس جبلا من نار ، لا يصلون الينا منه ولا نصل اليهم ٠ كما قال لأهل الكوفة مثل ذلك (٢) ٠

ولكن تأليب قادة الفرس السياسيين والعسكريين والاداريين ضد المسلمين لم ينقطع ، وانتقاض المناطق الخاضعة لنفوذ المسلمين لم يتوقف ٠ وأراد عمر أن يستعلم أسباب الانتقاض مع وفد قادم اليه من أهل تلك المناطق التى لا تريد أن تسلس للمسلمين القياد فسألهم عمر : لعل المسلمين يفضون الى أهل الذمة

---

(١) طه حسين : الشيخان ص ٨٩ ـ ٩٦ ـ ١٠٢ بالتفصيل ، راجع تاريخ الطبرى ـ اخبار فتوح الشام

(٢) الطبرى جـ ٤ ص ٧٩ طبعة دار المعارف ٠

باذى ؟؟ فقالوا : مانعلم الا وفاء وحسن ملكة ! قال : فكيف هذا ؟ فلم يجد عند أحد منهم شيئا يشفيه ويبصر به مما يقولون ، الا ما كان من الأحنف بن قيس فانه قال :

يا امير المؤمنين اخبرك انك نهيتنا عن الانسياح بين اظهرهم وانهم لا يزالون يساجلوننا مادام ملكهم فيهم .

ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج احدهما صاحبه وقد رأيت انا لم نؤخذ شيئا بعد شيء الا بانبعاثهم ، وان ملكهم هو الذى يبعثهم ، ولا زال هذا دأبهم حتى تاذن لنا فلنسيح فى بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعز امته ، فهنالك ينقطع رجاء اهل فارس فقال : صدقتني والله وشرحت لى الأمر من حقه ، ونظر فى حوائجهم وسرحهم . وقدم الكتاب على عمر باجتماع اهل نهاوند ، وانتهاء أهل مهرجانقذق ، وأهل كور الأهواز الى رأى الهرمزان ومشيئته ، فذلك كان سبب اذن عمر لهم فى الانسياح ، « وانساح أهل البصرة واهل الكوفة حتى اثخنوا فى الارض كما يروى الطبرى ، على ان عمر بن الخطاب لم يكن منشرحا قط للاسراف فى التوغل والتوسع » وكتب الأحنف بن قيس الى عمر بفتح خراسان ، فقال : لوددت لم اكن بعثت اليها جندا ولوددت انه كان بيننا وبينها بحر من نار » (١) .

وتردد عمر فى فتح مصر معروف مشهور ، على الرغم من مشورة عمرو بن العاص ، وتذير انتقال القيادة البيزنطية الى مصر ،، ووقوع مسلمى الشام فى خطر عظيم ، بين دولة الروم الأصلية فى آسيا الصغرى من الشمال ، وبين مصر فى الجنوب الغربى ، وبين هجمات الروم البحرية من شتى قواعدهم فى البحر المتوسط !!

فكيف كان عمر « من العبقرية والطموح فى نفس الوقت بحيث تشغل المسلمين جميعا بالفتوحات فى كل الجبهات » !!

***

وسياسة عمر فى البلاد المفتوحة :

لا تدرجه فى حزب اليمين ، أو الوسط المتحالف مع اليمين ...

كتب المسلمون الى عمر مع أنس بن الحليس « ان اقواما من اهل السواد ادعوا عهودا ، ولم يقم على عهد اهل الأيام لنا ولم يف به احد علمناه الا اهل بانقيا وبسما واهل اليس الآخرة ، وادعى اهل السواد ان فارس اكرهوهم وحشروهم ، فلم يخالفوا الينا ولم يذهبوا فى الأرض ، فكتب عمر فى جوابه : « فان الله جل وعلا انزل فى كل شيء رخصة فى بعض الحالات الا فى امرين ، العدل فى السيرة ، والذكر . فاما الذكر فلا رخصة فيه فى قريب ولا بعيد ، ولا فى شدة ولا فى رخاء ، **والعدل وان رئى لينا فهو اقوى واطفا للجور واقمع للباطل** ، فمن تم على عهده من اهل السواد ولم يعن عليكم بشيء فلهم الذمة وعليهم الجزية ، واما من ادعى انه استكره فمن لم يخالفهم اليكم او يذهب فى الأرض فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك الا ان تشاءوا ، وان لم تشاءوا فانبذوا اليهم وأبلغوهم مأمنهم » .

وفى جواب آخر كتب عمر : اما من اقام ولم يجل وليس له عهد فله ما لأهل العهد بمقامهم لكم وكفهم عنكم اجابة ، وكذلك الفلاحون اذا فعلوا ذلك . وكل من ادعى ذلك فصدق فلهم الذمة .

وكتب عمر جوابا على سعد بن أبي وقاص : « ان من اتاكم من الفلاحين اذا كانوا مقيمين لم يعينوا عليكم فهو امانهم » .

وكتب اليه مرة اخرى « ان اقر الفلاحين على حالهم ، الا من حارب أو هرب منك الى عدوك فادركته ، واجر لهم ما اجريت للفلاحين قبلهم » (١) .

للبحث بقية **فتحى عثمان**

---

(١) الطبرى ج ٤ ص ٨٩ ــ ١٦٦ ــ ٨ طبعة دار المعارف .

(١) الطبرى جـ ٤ ص ٥ ــ ٣٠ طبعة دار المعارف

عارهم فى فلسطين !!

بقلم : محمد جلال كشك

اشرنا فى الاسبوع الماضى ، الى سقطة الشيوعيين فى قضية فلسطين .. وقلنا ان هذه السقطة ، كانت بنت الفهم الخاطىء للقومية ، والاعتناق الأعمى للمفهوم الماركسى عن الأخوة الطبقية .

ولكن هذه السقطة ، لا تكفى فيها الاشارة ، ولا يجوز أن نودعها ذمة التاريخ مع رفات الحركة الشيوعية . فهى وان تكن سقطة العمر للشيوعيين ، فان علينا ان نحولها الى تجربة وخبرة نستفيد منها فى فهم ثورى سليم لقضية فلسطين .. ذلك ان الفهم الصحيح للمشكلة هو أول خطوات حلها .

وأبسط تفسير لسقطة الشيوعيين فى قضية فلسطين ، هو نسبة موقفهم الخيانى الى سيطرة اليهود على قيادات الحركة الشيوعية .. ان هذا التفسير مغر فى بساطته خاصة وان الحقائق تؤيده فقد كانت « حدتو » يراسها هنرى كورييل (يهودى) و « دال شين » يراسها يوسف درويش وريمون دويك (يهوديان) و « اسكرا » .. يراسها ايلى شوارتز (يهودى) و « ميم شين ميم » تراسها أوديت وسلامون زوجها (يهوديان) .. وهذه هى التنظيمات الشيوعية الرئيسية فى مصر قبيل الحرب الفلسطينية وخلالها وهى التى اندمجت وانقسمت بعد ذلك حتى وصلت الى حوالى ثلاثين منظمة .. لم تخرج أبدا عن سيطرة اليهود .

وقد تعمدت ان أذكرها باسمائها الحركية حتى يتبين لنا أى هزل كان يدبره هؤلاء ويدبرونه .. وتخيل ان حركة سياسية اسمها «دال شين» تقود وتوجه وتحكم الأمة العربية .. تخيل ولو أن الأمر لا يسمح بالمزاح ان عناوين الصحف خرجت يوما تقول « حدتو تشكل الوزارة .. أو اسكرا تقاطع الانتخابات ! » تأمل ! لو أنهم استجابوا لنصحنا وقرأوا التراث ، لعرفوا أن أول واجبات الآباء أن يحسنوا تسمية أولادهم !.

وكان سكرتير الحزب الشيوعى العراقى فى ١٩٤٧ هو « شلومو دلال » واللجنة المركزية الأولى للحزب الشيوعى السورى – اللبنانى . كان السكرتير العام فيها هو « جاكوب تيبر » يهودى جاء من فلسطين ليتراس الحزب .. وبعد انتخاب القيادة الجديدة برئاسة بكداش أرسلت فرج الله الحلو الى تل أبيب لتنسيق العمل ، واستقدمت اليهودى نحمان ليفنسكى كمستشار ! (صفحات مجهولة .. محمد على الزرقا والياس مرقص) ..

صحيح ان هؤلاء اليهود كانوا يعملون لحساب اسرائيل ، وما كانت الصهيونية بتدبيرها العالمى ، ودسها الاعوان فى جميع الأجهزة والمراكز الهامة ، بالتى تغفل عن أهمية البلاد العربية .. واسرائيل التى ترسل ايلى كوهين ، ليتسلل الى قيادة حزب البعث السورى ، ما كانت لتغفل فرصة التسلل الى الحركات الشيوعية فى الوطن العربى .

ولكن جهود أبناء صهيون وحدهم ما كان يمكن ان تثمر وحدها ، وما أكثر الحركات السياسية التى يتسلل الى قيادتها عملاء ، وحتى فى خلال الحرب يمكن ان يكون فى قيادة جيش من الجيوش ، عميل ولكنه لايقوى على الأمر بانسحاب الجيش ، كما لا يقوى العملاء على فرض خط سياسى فاضح الخيانة على الحركات السياسية التى تسللوا اليها .. لابد من مناخ فكرى يمكن للعملاء من خدمة أسيادهم ..

ما الذى يجعل مواطنا عربيا يقبل السجن بل والشنق دفاعا عن اليهود فى اسرائيل ؟ .. الا اذا كان قد سبق ذلك عملية تخريب لضميره الوطنى واحساسه الدينى والقومى ؟!

لقد خرجت جريدة « القاعدة » لسان حال الحزب الشيوعى العراقى فى ١٩٤٨ تقول : « ناضلوا فى سبيل انهاء حالة الحرب ، واعلان تاليف الدولة

العربية المستقلة الديمقراطية فى القسم العربى من فلسطين » .

واصدر الشيوعيون العراقيون كتابا سموه « اضواء على القضية الفلسطينية » ختامه « فليحيا التعاون والتحالف بين الوطنيين والديموقراطيين العرب واليهود لاحباط خطط الاستعمار والرجعية ، ولتحيا الصداقة العربية اليهودية » .

وحتى سنة ١٩٥٣ كانت جريدة « القاعدة » تقول « ان الشعب العراقى يرفض بإباء ان يحارب الشعب الاسرائيلى الشقيق » .

« لا مصلحة فى الحرب للكادحين العرب واليهود بل للبورجوازية العربية العفنة » !

لا يمكن أن يكون التسلل اليهودى للتنظيمات الشيوعية ، هو وحده ، سر قبول مواطنين عرب ترويج هذا القول ، بل دخول السجن دفاعا عنه ! وما الذى جرى منذ ١٩٥٣ حتى تغضب الأمة العربية لتصريحات مشابهة يقولها بورقيبة ؟!.

الذى جرى .. هو انه بعكس نبوءة خالد بكداش التى أعلنها شامتا يوم الانفصال ـ أقول بعكس نبوءته، هوت راية الماركسيةاللينينية وارتفعت راية الناصرية عادت الأمة العربية الى عروبتها ودينها .. فهوت المفاهيم الخاطئة .

وأيضا .. لا يمكن ان نفسر سقطة الشيوعيين فى قضية فلسطين بارجاعها الى الولاء الأبوى الذى كان يفرضه ستالين .. صحيح ان هذا الولاء مسئول عن سقطتها .. ولكن ليس وحده ..

وصحيح أن بعض التنظيمات الشيوعية فى الوطن العربى . قد عارضت مشروع التقسيم عند صدوره ثم عادت فاعتذرت وادانت موقفها ، وأيدت التقسيم بمجرد ان اتضح موقف الاتحاد السوفيتى .. عندما قال « جروميكو » أمام الامم المتحدة : « ان الدول الغربية ، قد أثبتت عجزها فى الدفاع عن الحقوق الاولية للشعب اليهودى ، وهذا ما يبرر طموح اليهود الى انشاء دولتهم بأنفسهم . ومن غير العدل الا نوافق على هذا الطموح او أن ننكر حق الشعب اليهودى فى تحقيق ما يصبو اليه » .

عندئذ انقطع كل نقاش ، ووارت التنظيمات الشيوعية التى عارضت التقسيم خجلها .. ورفضت جميعها الحرب مستندة الى التفسير الذى اعلنه جروميكو عندما قال : « ان الهجوم العربى على الشعب اليهودى المسالم يعتبر عملا وحشيا ضد شعب لا يريد سوى تقرير مصيره » .

وانطلق الشيوعيون يعملون ضد الحرب التى « دبرها الاستعمار وارادتها الرجعية » .. كما وصفها تقرير الرفيق خالد سكرتير الحزب الشيوعى المصرى المنحل ..! وحقق الشيوعيون العرب فى « كفاحهم » ضد الحرب ما عجزت عنه الأحزاب الماركسية فى أوربا .. عندما أصرت أحزابها على خوض الحرب الوطنية دفاعا عن وطن الآباء ، والقت الى الارض بشعار الاخوة البروليتارية .

ومرة اخرى لماذا سقط الشيوعيون هذه السقطة؟! ما دمنا نرفض التفسير السطحى الذى يردها الى سيطرة اليهود ؟! كذلك نرفض الاقتصار على تفسيرها بخضوعهم الأعمى ، للقيادة العالمية للحركة الشيوعية .

يجب أن نفتش أعمق من ذلك .. لنجد أن السبب يرجع الى النظرة الماركسية نفسها للقومية والوطن .. الى التصور الخاطىء للقومية على أنها فلسفة الطبقة الوسطى !.. والوطن على أنه السوق ! والى الوهم الكاذب الذى يضع أخوة الطبقة فوق أخوة القومية والدين .. ذلك الوهم الذى جعلهم يتصورون أن قيام دولة اسرائيلية متقدمة (كما كانوا يقولون) أو حتى اشتراكية فى الوطن العربى ، مكسب ثورى ، حتى ولو كانت ستقوم على قطعة غالية من وطنهم ، وعلى حساب تشريدهم هم !! مع ان خبرة الشعوب وحقائق الوجود تثبت أن شبرا واحدا من ارض الوطن ، اغلى من كل المبادىء والنظم والنظريات .

وان العبرة فى التقدم والتخلف ، ليست الحركة العامة للجنس البشرى ككل .. بل تقدمى أنا .. وتخلفى أنا .. أى تقدم القومية المعينة وتخلفها . اذ لا يمكن ان اقبل افناء أمتى لمصلحة التقدم العالمى . وصدق شاعرنا العربى المسلم قاهر الصليبيين مذل الروم .. عندما قال : « اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر ! »

كذلك عجز الشيوعيون العرب ، ومازالوا ، للأسف عن فهم حقيقة الصهيونية وحقيقة اسرائيل .. والى ما قبل صدور قرار التقسيم وخضوعهم لموافقة الاتحاد السوفيتى عليه ، كان الشيوعيون

يعارضون فكرة التقسيم وقيام دولة يهودية ، ولكنهم سلموا بوجود الشعب اليهودى ، وباخوته مع الشعب العربى ، وكانت الخطوة الثانية المنطقية هى التسليم بحق هذا « الشعب » المزعوم فى تقرير مصيره ، وحق تقرير المصير يعنى عند الشيوعيين العرب وحدهم . « الانفصال » .. وبالتالى حق الشعب الاسرائيلى فى الانفصال !.

والحقيقة هى انه لا يوجد شعب اسرائيلى .. ان اسرائيل كلها رجعيتها وعمالها من بن جوريون الى سكرتير الحزب الشيوعى ، كيان استعمارى رجعى عنصرى ، مجرد وجوده عدوان على القومية العربية ، واغتصاب للوطن العربى .. اسرائيل كلها حكومة ومعارضة ، جيش ، وعمال ، وفلاحون .. قاعدة . استعمارية .. وجيش احتلال .. يشبه الجالية البريطانية فى الهند ، أو البرتغاليه فى انجولا .. أو الجيش الفرنسى والمستوطنين معا ، فى الجزائر . قد يكون فيهم العامل أو الفقير .. ولكن لابد من استئصالهم جميعا ، غنيهم فقيرهم .. لأن هذا الفقير انقلب الى جندى فى جيش العدوان بمجرد مغادرته وطنه ، واقامته بالقوة والعدوان فى أوطان الآخرين . وحقدنا عليه يتضاعف ، لو بدأ يحرث الأرض ويزرع لأن جريمته هنا أعمق وأشنع .. انه يحرث أرضى أنا .

لذلك كان من السخف والبله محاولة التفرقة ، داخل اسرائيل ، بين الرجعية الحاكمة والشعب الكادح ! . ومن الخيانة الحديث عن أخوة الشعبين العربى واليهودى ، أو دعوتهما للكفاح معا ضد الرجعية المشتركة العربية والصهيونية ..

ولكن الشيوعيين نادوا فى الوطن العربى بانه « قد أصبح ضرورة قومية ماسة أن يحارب الشعب المصرى كل اتجاه أو دعاية ترمى الى بذر بذور الشقاق بين الشعبين العربى واليهودى فى فلسطين وأن يؤيد كل محاولة للتوحيد بين صفوفهما فى جبهة مشتركة ضد الاستعمار . وعلى هذا فقد أصبح واجبا مقدسا على اهالى فلسطين ، عمال ومثقفين وفلاحين ، العرب منهم واليهود ان يكونوا جبهة متحدة للكفاح ضد الاستعمار وأداته الصهيونية . انها جميعا عدو لدود للشعبين ، العربى واليهودى فهى تعمل على التفريق بينهما باشعال النعرة القومية والدينية فيلتفت العرب واليهود الى الصراع فيما بينهما مبتعدين بذلك عن الكفاح الرئيسى ضد الاستغلال الصهيونى والاستعمار الأجنبى » (من كتاب أهدافنا الوطنية . عبد المعبود الجبيلى . والمرحوم شهدى عطيه) .

وهكذا غرر بهم اليهود .. كان يجرى فى فلسطين تدريب واعداد أخس جيش لأشنع جريمة عدوانية . وكان الشيوعيون العرب يدعون الشعب المصرى لمحاربة .. لا الصهيونية .. بل « كل دعوة أو دعاية ليذر بذور الشقاق بين الشعبين العربى واليهودى فى فلسطين ! » وكان أعرق مجرمى العالم يدبرون مذابح دير ياسين ويخططون لابادة الشعب العربى فى فلسطين .. وكان الشيوعيون العرب يدعون مواطنيهم « لجبهة متحدة مع اليهود ضد الاستغلال الصهيونى والاستعمار الأجنبى » .. كان الصهيونية ليست استعمارا أجنبيا .. مرددين خرافة الشعب اليهودى ! .

ولكن ذلك كتاب قديم .. فلننظر الى كتاب آخر حديث .

المؤلف اسمه ابراهيم عامر .. محرر بدار الهلال ..

والكتاب اسمه « ثورة مصر القومية » على غلافه تاريخ يناير ١٩٥٧ وعلى ظهر صفحته الأولى بيان يعلن أنه تم طبع هذا الكتاب فى يوم السبت ١٥ ديسمبر ١٩٥٦ .. أى قبل جلاء قوات العدوان الثلاثى .. واسرائيل تحتل غزه وسيناء . والمقدمة تحمل توقيع المؤلف وتحته تاريخ أكتوبر ١٩٥٦ .

والمؤلف يعلن « فى تواضع جم » ان كتابه هذا تلبية « لحاجة قومية وعالمية » .

رحم الله اسلافنا وطيب ثراهم واسكنهم فسيح جناته كانوا على قدر كبير من التواضع .. فالجبرتى اذا أراد أن يتحدث عن نفسه .. قال : « الحقير » والقلشقندى يعتذر عن تأليفه مفخرة الفكر ، ودائرة المعارف الأولى .. « صبح الأعشى » لأنه كما يصف نفسه ، ليس من اهل الكتابة ، وانتسابه اليها انتساب الادعياء ! لذلك خلدوا وخلدت كتبهم .. فلننظر فى هذا الذى لبى حاجة عالمية وقومية باخراج كتابه !

هو يرى أن القومية « نشأت واكتسبت صفاتها العامة فى عهود تكون الرأسمالية ، وهى فى جوهرها

المسألة الرئيسية التى يواجهها الراسماليون الناشئون فى احدى الامم » ص ٣٤ ، كما تصبح الأمة أو العنصر أو الدين بالنسبة للطبقة المتوسطة مصدرا لنوع من الهروب النفسانى للابتعاد عن احساسها بالركود فى حياتها اليومية » ص ٣٤ » ٠

أما وهو لا يعانى هذا الركود فى حياته اليومية لتفرغه لقضاء الحاجة ٠٠ القومية والعالمية ! ٠٠ فلا حاجة به الى الهروب النفسانى الى الأمة أو العنصر أو الدين ٠٠ لذلك استطاع وهو يؤلف ويطبع من أكتوبر الى ديسمبر ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثى أن يحتفظ بهذه الموضوعية (الساقعه) ٠٠ وهو يكتب عن اسرائيل ٠

لنقرأ ماذا يقول :

« وبدأت هجرة المشردين اليهود (ياعينى) الى فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى ٠ غير أن الأمر لم يتسم طويلا بتلك البساطة (!) اذ سرعان ما استقر المشردون على الأرض وتحولوا الى ركازات اقتصادية ذات مصالح مشتركة تهدف الى استغلال السوق المحلية كلها ، وتجد ان العقبة فى تلك السبيل هى الاستعمار (أى أنها حركة وطنية !) من جانب والسكان العرب الأصليون من جانب آخر (هكذا يصف الشعب العربى وكأنه يتحدث عن السكان الاصليين فى استراليا) وفى الوقت ذاته أصبح العمال اليهود الذين استقروا فى فلسطين عمالا منظمين لهم مطالب تتعارض مع مطالب الصهيونية ومع مطالب كبار الملاك والراسماليين العرب ٠٠(!!) وحينذاك بدأت معركة العرب ضد الاستعمار من ناحية ، وهى معركة القوميين العرب أصحاب الحق الأول فى بلادهم ضد القوميين اليهود الذين جاءوا للاستقرار فى تلك البلاد (أى أعصاب تلك التى تصف الاحتلال الصهيونى لفلسطين بعبارات« جاءوا للاستقرار » و « فى تلك البلاد » ٠٠ ومتى يقول هذا ؟ ٠ من أكتوبر الى ديسمبر ١٩٥٦) » كما بدأت معركة اجتماعية مزدوجة هى معركة الطبقة العاملة والقوى الشعبية من العرب واليهود ضد كبار الملاك والرأسماليين » ص ٩١ ٠

اذا كنا نغتفر لعبد الموجود الجبيلى الحديث عن الكفاح المشترك بين العمال العرب واليهود فى سنة ١٩٤٥ وقبيل قيام اسرائيل ، فكيف نطيق هذا الكلام ابان العدوان الثلاثى ٠٠ متى وأين قام الكفاح المشترك بين الطبقة العاملة والقوى الشعبية من العرب واليهود ؟!٠ متى ؟ واين هو العامل الاسرائيلى الذى وقف مع العرب ضد الصهيونية؟! متى ؟ وأين قولوا لنا بدلا من تصديع رؤوسنا بالنظريات !٠

على اية حال هذه ليست سوى مقدمة ٠٠ يقول السيد ابراهيم عامر فى كتابه ، الذى هو محاولة « لتلبية حاجة قومية وعالمية » :

« وفى مواجهة الثورة القومية النامية فى فلسطين سارع الاستعمار البريطانى الى التحالف مع الرجعية العربية ضد اليهود ٠٠ » ص ٩١

متى ؟! ٠٠ هل هناك فرية أكبر من هذه ؟! ٠٠ هل كانت بريطانيا مع الرجعية العربية ضد اليهود ؟! ٠٠ من الذى منع تسليح العرب ؟ من الذى سلم فلسطين لليهود ؟ ٠٠ من الذى تستر على تسلحهم وتسللهم وتدريبهم ٠٠ من الذى شنق العرب وشردهم ؟ ٠٠ لو أن نصف مليون طلقة دخلت فلسطين قبل انهاء الانتداب ٠٠ لما قامت اسرائيل ٠ هل كان جلوب فى قيادة الجيش الأردنى متحالفا مع الرجعية العربية ضد اليهود ، أم مقاتلا لحساب اليهود ضد العرب ٠

من الذى ضغط على الرجعية العربية لتقبل الهدنة ولتسلم الارض لليهود ؟!

بريطانيا كانت مع العرب ضد اليهود ؟! ٠٠ هكذا يقول فى كتاب يصدر وبريطانيا واليهود يحتلان قطعة غالية من وطنه !٠

اسمعوا أيضا : « ونادت الاشتراكية بالتقسيم (اذن فالتقسيم اجراء اشتراكى !) ونادى الاستعمار بالحرب » ص ٩١ ٠

لا !! الشعوب العربية هى التى نادت بالحرب واجبرت حكوماتها على الدخول فى هذه الحرب ٠٠ فلما خانت هذه الحكومات ولم تحارب اسقطتها الشعوب العربية ٠٠ ومازلنا ننادى بالحرب حتى تعود فلسطين عربية ٠

وأيضا : « ولم يكن الاستعمار يعنيه فى تلك الحرب ان ينتصر هذا الفريق أو ذاك بقدر ما كان يعنيه استغلالها لضرب القوميين فى الجانبين » ٠

هل حدث أن روج مثل هذا الافك فى بلادنا ؟!

الاستعمار – وهي هنا على اطلاقها ٠٠ البريطاني والامريكي – لم يكن يعنيه ان ينتصر العرب أو الصهيونية ٠ ! تأملوا ! ومن الذى مول ومن الذى « دفع دولارا ليقتل عربيا » ، ومن الذى سلح اسرائيل ، ومن الذى فرض خطر السلاح علينا ، ومن الذى اجبرنا على الهدنة لتعود اسرائيل لتضرب ٠

ومن الذى دبر خلال نصف قرن لاقامة دولة اسرائيل ٠٠ حتى تأتي انت فتفتي انه لم يكن يعنيه من الذى ينتصر في هذه الحرب ؟ ٠ الا تعلم أن مصير الاستعمار كله ، بل ومصير الحرب الابدية بيننا وبين الغرب ٠ ٠كان مرتبطا بانتصار اسرائيل في هذه الحرب ، أو هزيمتها وتحرر المنطقة الى الابد !

وأخيرا ٠٠ يقول سيادته : « ولم تسفر الحرب الا عما أسفر عنه قرار التقسيم تقريبا ، ولم يحصل أي من الفريقين على مكاسب أكبر مما كان له في الواقع » ٠

ما الذى يقوله ٠٠ اسرائيل لم تفز باكثر مما كان لها ٠٠ دعنا من تعبير « كان لها » ٠٠ لنقل انه يقصد ما كان يعطيها مشروع التقسيم ٠٠ ولنبدا بتعريفه مادام قد أصبح الجهل من صفات المحللين والمنظرين ٠

مساحة المنطقة التى احتلت في فلسطين طبقا لاتفاقيات الهدنة ٥٠٥ر٢٣٠ر٥ أفدنة أي ٤٠ر٧٧٪ من مساحة فلسطين ٠٠ أما المساحة التى خصصها مشروع التقسيم لاسرائيل فهى ٤١٢ر٨١٥ر٣ فدانا أى ٤٧ر٥٦٪ من مساحة فلسطين ٠٠ أى ان المساحة التى احتلتها اسرائيل (أو القوميون اليهود !) زيادة عن قرار التقسيم هي ٠٩٣ر٤١٥ر١ فدانا أو ما يعادل ٢١ ٪ من مجموع مساحة فلسطين !

فاذا كنت تجهل ان اسرائيل احتلت أكثر من خمس وطنك فلسطين فوق قرار التقسيم الاستعمارى ٠٠ فليس من حقك أن تفتي بغير علم٠٠ واذا كنت تعرف فكيف تقول على خمس وطنك (باعتبارك عربيا) تقريبا! ٠

هذه صفحات من تاريخ أسود لا يكفى أن نتجاهلها ونحسب أنها قد محيت من التاريخ٠ فالنعامة ليست اذكى الطيور ٠٠ ولا يكفى أن نلعنها ، بل لابد من ادانة الفكر الذى سببها ، فطالما ظل هذا الفكر الخبيث يعشش في رءوس بعضهم ، فلابد أن يفرخ انحرافا ويثمر عارا ٠

« محمد جلال كشك »

حصاد الاربعين ٠٠٠

للشاعر محمود العتريس

اجل ٠٠٠ جاوزتنا خطا الاربعين
فهل في تجاوزها ٠٠٠٠ مايشين ؟؟

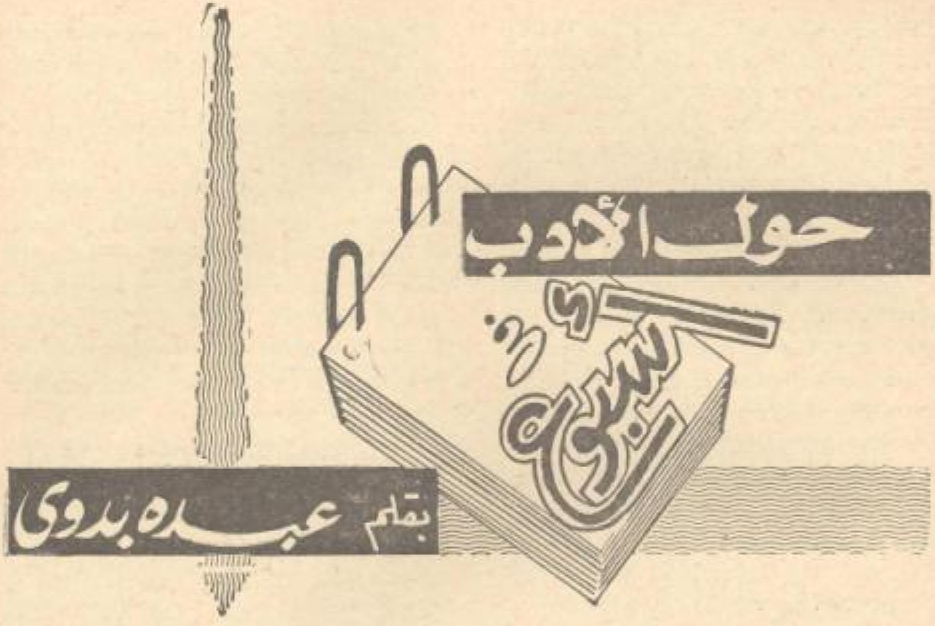
غدونا – وقد راح لهو الصبا –
نعربد ٠٠ في عنفوان رصين
ونكشف للحسن ٠٠٠٠٠ أسراره
ونعلم ٠٠ في الحب ٠٠ ماتجهلين
ونبعثها في دروب الهوى
اناشيد ٠٠ تذكى أوار السنين

اجل يافتاتي ٠٠ عبرنا الشباب
وخضنا العباب مع الخائفين
على زورق من سراب المنى
تباطا ٠٠ في شاطىء الاربعين
ولما تزل للصبا موجة
تداعبه بين حين ٠٠٠٠٠ وحين

فديناك ٠٠٠٠ ياروعة الاغنيات
ويا فتنة الورد والياسمين
دعينا نردد على مسمعيك
ضلالات عمر ثمين ٠٠٠٠٠ ثمين
«حسونا مع الحسن ٠٠ خمر الصبا»
«وحسنك ٠٠ بين الليالى ٠٠ جنين»
«وراح الذى راح ٠٠ ملء السراب»
«وعاد الذى عاد ٠٠ ملء اليقين»
«واصبحت ٠٠ صاخبة العنفوان»
« تعانين فيظ احتدام الحنين »
« وبتنا ٠٠ نطالع من امر دنياك »
« ما لا نخالك قد تعرفين »

اجل يافتاتي ٠٠٠ نعيذك منه
ففى حبنا قسوة المثخنين
وفى عمرنا ٠٠ لهفة للجمال
تجاوز كل احتشام ٠٠٠ رزين
وان حجبتها وراء العيون
ستور ٠٠ من الأمل المستكين
فلا تسخرى من اصيل الشباب
وفيه من السحر ٠٠ ما تجهلين
ولا تعبثى في رماد الليالى
فلما يزل – ثم – جمر دفين
ولما تزل للصبا ٠٠ لفحة
تؤرقه بين حين ٠٠٠٠ وحين

وبعد ٠٠٠٠ فللحب اقداره
تعربد في ردهات السنين
وان كان ٠٠ اروع ما في الهوى
لقاء على شرفة الأربعين



القتل فى موعد

حينما يحدق الانسان فى الحقل الادبى وفى وجوه الذين يطنون به كالنحل ، والذين يختبئون بداخله كالسوس ، فانه لابد أن يصل الى عدة ظواهر لا بد أن يكون بعضها مرضيا الى أقصى حدود المرض ، لا لانها تنطوى على اعتداء على حق هذا الشعب فى أن يتثقف ، ويعرف نفسه ، ويفتح مصراعى قلبه على الحياة !

ولا لأنها تصـدر عن غرباء لا يعيشون فى دائرة الوهج الادبى ! ولا لأن هذا الذى يهاجم يعتبر خطا مارقا عن خط الدولة ، أو يصدر عن تمويل وأفكار أناس يسيرون فى طريق ، والدنيا فى طريق آخر .

.. ولكن لأن هذا الذى يصدر لابد أن يكون عن هوى فى النفس ، فهناك أصوات تطالب بان تمثل فى الاماكن التى تهاجم ، أو تطالب بعودة مقنعة اليها وذلك بتصوير ما حدث بعد رحيلهم عنها فى صورة أقل ما يقال فى الذين قاموا بها أنه تجب محاكمتهم ، أو لأن رفع الصوت فى مكان يغرى برفع الصوت فى مكان آخر ، أو للتوهم أن فلانا من الناس يرضى حين يأخذ قلم بخناق الآخرين ومشروعاتهم ، أو لأن بعض النظريات السياسية تفهم فى الادب الآن على أنها تقويض لكل شىء قائم حتى ولو كان هذا الشىء القائم فى صالح الشعب ، لانه يجب البناء من جديد على الافكار التى تكون قد تداعت ، والمشاعر التى تكون قد تشققت ، ولانه يجب أن تولد افكار ومشاعر الانسان من جديد على أن يفصل تماما بين ماضى الانسان وحاضره ببحر من دم هذه الافكار وهذه المشاعر .

ان أحدا لا يستطيع أن ينكر دور المجلة الادبية فى أى من بلدان العالم ، فالصحيفة والمجلة السياسية لا يمكن أن تقدم زاد الانسان الادبى والفنى ، ذلك لأن ما يعد فيها يطهى بسرعة ، وتتحكم فيه المساحة ، ويظل دائما عرضة لسطوة الاعلان ، أو لنفوذ الخبر ، ثم ان ما يقدم لا بد أن يكون فى المكان الاول مما يلاحق قضية مثارة ، أو مناسبة يتحدث عنها الناس ، أو اغراء بالوقوف عند نقطة ساخنة ـ قد تفتعل سخونتها ـ لتحريك يد القارىء فى اليوم التالى أو فى الاسبوع القادم للشراء .

واذا كان هذا النوع اللاهث من الادب والفن ضرورة ، فان النوع الراسخ فى الادب والفن لا بد أن تكون له ضرورة كذلك ، فاذا أضفنا الى هذا الـ

مطالبون بخلق جيل جديد من الكتاب، واننا مطالبون بمخاطبة الانسان العربى على طول المنطقة العربية ، واننا يجب الا نقل عن بلد شقيق كلبنان له دور كبير فى ترويج الكلمة وتسويقها بمهارة فى كل البلاد العربية .. اذا أضفنا ذلك أدركنا أن هذه الحملات ماكان يجب أن توجه بهذه الضراوة ، وباختلاق بعض القضايا ، وليس معنى هذا أن هذه المجلات فوق النقد ، أو انها وصلت الى المدى الذى لا يمكن أن يوجه اليها فيه نقد ، ولكن معناه أن يناقش كل شئ بموضوعية تامة ، وبخاصة اذا كان ما يريد أن يصل اليه الناقد هو اصدار حكم بالاغلاق أو الادماج أو الاصلاح .

●●

انه خلال اسبوع واحد أخذ الصياح يتعالى من احدى المجلات ، وقد يكون هذا طبيعيا فى أول الامر، ولكن الامر الذى يبدو غريبا بعض الشئ ، هو أن يسمع نفس الصوت ، وأن تضبط نفس المفرقعات فى أيدى الذين يقومون بالنسف هنا وهناك ، ثم أن تدق « ساعة الصفر » فى أقلام الكتاب فى وقت واحد ، وأن تلتقى الخيوط من أكثر من ناحية بحيث يظهر أخيرا أن « النسيج » يقوم بتوريده مصنع فكرى واحد ، سواء أكان هذا الالتقاء عن حسن نية ، أو سوء نية .

ولقد بدأ الهجوم بالحملة التى شنتها روزاليوسف، ولقد أخذت الرسالة على هذا الهجوم أن المقصود من ورائه كان تعمد الاثارة ، والتشويش الى حد عدم التفريق بين ما أدانته المجلة وما لم تدنه ، والى حد اختلاق بعض الاحداث ، والى حد الافتراء على المجلة بأن كل ما يكتب فيها لا بد أن يعبر عن وجهة نظرها .. ومهما يكن من شئ فلقد كانت هذه الحملة درسا للقراء الذين تنبهوا الى أن ما يجرى فى الحقل الادبى لا يمكن أن يؤخذ كقضايا مسلمة ، وانما يجب أن يناقش ، وأن ينظر اليه من كافة الوجوه ، كما كانت درسا لروزاليوسف نفسها — وهذا ما يشكر لها — فالاعداد الاخيرة قد خف فيها التركيز على الجنس فيما يكتب أو يرسم ، كما خفت نبرة الادعاء الاجوف التى كانت تغطى بعض الصفحات .

ولعل من المفيد أن نتعرض لما كتبه الاستاذ **حلمى سلام** فى جريدة الجمهورية تحت عنوان « مجلة الفنون السبعة » ، فقد أخذ على وزارة الثقافة عدولها عن ادماج مجلتى الرسالة والثقافة ، واعتبر هذا العدول تراجعا عن خطوة واقعية وضرورية ، ثم كانت دعوته الحارة الى ادماج كافة مجلات الوزارة فى مجلة واحدة تسمى « مجلة الفنون السبعة » ليتوفر لها فيما لو أحسن تحريرها واخراجها عشرة آلاف نسخة على الاقل،ونحن نسال : هل اصبحت القوة القارئة عندنا الآن تقتصر على هذا العدد الذى ذكره الاستاذ حلمى سلام ، فى الوقت الذى كانت فيه مجلة الرسالة القديمة تطبع اربعين الفا من بعض اعدادها ، ومعنى هذا أنه توجد قوة ضاربة من القراء لابد من مخاطبتهم الآن — عن طريق التخصص — فى الشعر والقصة والفنون الشعبية الخ، ثم ان الاستاذ حلمى حين ذكر هذا المقترح عقب عليه بانه سيكون هناك — حين يؤخذ بهذا المقترح — رئيس تحرير واحد، ومصروفات ادارية واحدة » بينما الوضع الآن أن عندنا سبعة رؤساء تحرير ، وسبع سكرتيريات تحرير ، وسبع ادارات لكل منها تليفوناتها ، ومكاتبها ومصروفاتها التى لا مبرر لها » .

ولا شك أن هذه النقطة جديرة بالتوضيح ، لأن كثيرين يتوهمون أن المجلات تصدر عن قلعة مترفة تسيل من تحتها الاموال ، والحقيقة التى أحب أن أذكرها هنا أن رؤساء التحرير السبع لايصل مرتبهم جميعا الى مرتب أحد رؤساء تحرير صحفنا، ولنوضح هذا نذكر أن بعضهم مرتبه محسوب على أن يكون مقصورا على ما يساوى مكافآت المقالات التى تكتب (الزيات) وأن بعضهم يأخذ مرتبه على أساس جلسات التحرير التى لا تزيد عن أربع والتى لا تزيد فى الوقت نفسه عن مكافأة الجلسات التى يتعارف عليها فى مرافق الدولة (أبو حديد) وأن بعضهم يأخذ الفرق بين المرتب والمعاش (حقى) وأن بعضهم يأخذ خمسين جنيها (د. القط) ونحن لا ننسى هنا أن نذكر ان بعض الكتاب يأخذون مكافآت من المجلات تصل الى حد نصف الذى يأخذونه من الخارج ، ومع هذا يضحون ايمانا منهم برسالة هذه المجلات .

فاذا تركنا هؤلاء واولئك الى السكرتارية كان لابد أن نذكر أن هؤلاء يأخذون مرتبهم اصلا من الوزارة ، بل ونستطيع القول أن مجموع مرتباتهم لا يصل الى نصف ما يأخذه واحد من رؤساء تحرير احدى صحفنا .

ثم ان القلعة المترفة التى تصدر عنها هذه المجلات والتى تضم رؤساء التحرير والفنيين والسكرتيريين

والاداريين والقسم الفنى والمصححين ـ لا تزيد عن ثمانى حجرات ضيقة بما فيها الحجرة الخاصة بمجلة الفنون الشعبية بالزمالك ، ثم ان المجلات جميعها لا تستعمل أكثر من ثلاث تليفونات .. تلك هى قصة المجلات ، وتلك هى قصة الشعب الذى يحيط هذه المجلات ، والذى ما كاد يسمع بنية ضم هذه المجلات ، حتى سارع يقول كلمته بالوف البرقيات، وكان أن تحقق أمل القراء فى الابقاء عليها. ومهما يكن من شىء فاننا اذا تتبعنا مسار الحملة وجدنا الصفحة الادبية فى الجمهورية ، لا ترضى عن المسرح ، وتدعو الى انكماش الرقعة التى يقف عليها الى حد الربع ، ثم قدمت الحيثيات بعد ذلك مباشرة فى جريدة «الاهرام» . ومهما تكن المآخذ التى أخذت على المسرح، الا انه كان يجب أن يكون فى ذهن القائلين بهذه الفكرة اقبال الجماهير على هذه المسارح ، واهتمامها بها ، وهو ما يمكن أن يكون المبرر الاول لابقاء هذه المسارح بل الى تنميتها ، وتحريكها لا فوق رقعة القاهرة فقط ولكن فوق الرقعة العربية جميعها .. ولو كان الامر بيدى لكان ردى على هذه الحملة ـ وبخاصة فى هذه الفترة التى تذكر الاحصائيات أن الجمهور والدخل زاد بنسبة الضعف عن العام الماضى ـ تكوين عدد آخر من الفرق المسرحية ، دون أن أعنى بالرد على هؤلاء الذين يدعون الى الادماج أو النسف !

فاذا تركنا المجلات والمسرح الى الجهازين اللذين يقدمان الخبز الفكرى فى «**الكتاب**» ممثلا فى الجهازين التابعين للمؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ، وجدنا من يقوم بنسف هذين الجهازين دون أن ترتعش يده ، أو تهتز أهدابه .

ونحن لن نقول ان كل هذه الاجهزة مبرأة من العيب ، ولكنا نريد أن نقول شيئا واحدا هو أن الاجهزة التى يتكلم منها هؤلاء المتحمسون ليست مبرأة من الاخطاء ، وليس من المستحيل الا يغوص انسان فى قلب هذه الاجهزة ثم يطفو دون ان تكون فى يديه بعض الاخطاء ، ولكن الذى لاشك فيه ان هذه الاخطاء تتلاشى يوما بعد يوم ، وان هذه الاجهزة التى تهاجم تعتبر جديدة فى حياتنا ، وانها تحاول يوما بعد يوم ان تعدل من مواقفها ، ومن هنا نراها تكتسب فى كل يوم أرضا جديدة ، وقلوبا جديدة .

ولكن لعل الذى يسىء حقا ، والذى يملأ عمر الانسان بالمرارة ، هو ان يحاول بعض الكتاب القتل بعد ان يوهم الناس انه حمل الميزان ، وان الكفتين متوازيتان تحت قبضته ، وان عينيه معصوبتان الى حد يذكر بتمثال العدالة، فلقد توهمنا الانصاف ـ لمرة واحدة ـ والدكتور لويس عوض يدق على صفحة الاهرام دقات يقول صداها انها «كلمة هادئة عن مجلات وزارة الثقافة» ثم يدخل الى عقل القارىء وسط حشد من الارقام لينتهى الى الحكم ببراءة المجلات المتخصصة كالشعر والقصة والمسرح ـ ولا ادرى لماذا خص الاخيرة باقتراح التبعية للمعهد العالى للفنون المسرحية ـ ثم ببراءة مجلة المجلة لأنها تثبت جمهورها تقريبا حول ثلاثة آلاف مشتر ، وكما يقول «نصفهم فى مصر ونصفهم فى الخارج» ، ومن هذه العبارة ندخل فى مناقشة هادئة مع الدكتور لويس عوض وهى : لماذا قدمت الاهرام احصائية شاملة عن مجلة «المجلة» فى الداخل والخارج ، ونسيت ان تقدم احصائية المبيع فى الخارج بالنسبة للمجلات الاخرى ، واسمح لى ان اقصر حديثى هنا على مجلة الرسالة فهى تطبع ٦٠٠٠ نسخة وتوزع فى الداخل ٢٠٠٠ نسخة ، وفى الوقت نفسه توزع فى الخارج ما لا ينقص عن هذا الرقم ان لم يكن يزيد ، ومعنى هذا انها توزع فى الداخل والخارج ٤٠٠٠ نسخة «نصفهم فى الداخل ونصفهم فى الخارج» على حد تعبيرك ، فاذا اضفنا الى هذا ان هناك اشتراكات داخلية لم تحسب ، وأن هناك دائما طلبات مستمرة تدور حول طلب مجموعات كاملة من الرسالة وان بعض الاعداد نفدت تماما ـ اذا اضفنا ذلك ادركنا ان الرسالة تعتبر متفوقة فى التوزيع فى حدود ما تطبع ، وانا اطمئنك بان الرقم الذى نريد ان تصل اليه هذه المجلة وهو ٢٠٫٠٠٠ نسخة يمكن ان يتم توزيعه على طول المنطقة العربية اذا امكن ان نطبع منها ٣٠٫٠٠٠ نسخة ، فهل يمكن أن تتبنى هذا الرأى الذى لن يعتبر غريبا اذا نظرنا الى ماضيها الاول فى التوزيع، واذا عرفنا انك ظلمتها حين لم تقدم حقيقة ماتوزعه من كافة الجوانب ؟ واذا ادركنا ان هناك ازمة قراءة لا فى الجمهورية العربية المتحدة فقط ولكن فى كافة بلاد العالم ؟ وانه فى ظل هذه الأزمة يجب ان تطارد المجلة الادبية القارىء عند اكثر الباعة ، وبخاصة فى الزحام الذى تثيره المجلات السياسية بامكانياتها الهائلة ، وظروفها الميسرة .

وعلى كل فمن السهل جدا ان يتم تحريض

الشعب والحكومة على بعض الاجهزة، وتقديم جانب واحد لحقيقة الارقام ، وتقـديم كافة المجلات الى المحاكمة مع نية الافراج عنها ما عدا مجلة واحدة ! ومن السـهل كشـف أوراق المـاضى ، والتنقيب عن السقطات الشخصية وغير الشخصية ، ومن السـهل كذلك «التوقيت الذكى» والقيام بعمليات التدمير عن حسن او سوء نية بالنسبة لبعض المكاسب التى حصل عليها الشعب .. ولكن الذى لا شك فيه ان الشعب سيسير فى طريق الزيادة لا الادماج، والتنمية لا الاختصار .

ان احدا لم يسـمع – **فى ميادين الانتـاج** – عن الدعوة الى اغلاق مصنع مهما كان تعثر هذا المصنع لانه توجد دائما اليد التى تعمل على ان يقوم بدوره اليوم او غدا ، ولكنـا فى ميـادين الفكر ، وفى ظل الدعوة الى توسيع القاعدة الثقافية ، وفى محاولة توصيل كلمتنـا من المحيط الى الخليج ، يحـاول بعضنا ان يلتهم الآخر ، ويحاول البعض ان يعرقل السـائرين على الطريق، كما يحلو للبعض ان يدمجوا او ينسفوا . فالذى يرضيهم ان يشموا رائحة الغبار ، ويسمعوا اصوات التشقق ، وما اكثر هؤلاء فى حقل الفكر .. ما اكثر هؤلاء !!

اشكرك يا الهى :

فى حديث لى مع احـد الاصـدقاء ذكر لى – والغضب فى صوته والتشاؤم فى ملامحه – ان الخط الابيض فى الحياة هو خط عارض اما الخط الثابت الذى يحكم حياة الانسـان فهو الخط الاسـود ، وقد ظل هذا الكلام ينقر نفسى ، حتى ذكرنى أن فى بعض اوراقى قصيدة لشـاعرة افريقية تدعى اوكوازيما تضم هذا المعنى ، ولكن بصورة اخرى فهى ترتفع عن المأساة التى وضعها فيها القدر الى حد التحدى ، والى حد شنق الحقد بالحبل الذى كان يعد لها .. فهى تقول فى قصيدة بعنوان «اشكرك يا الهى» هذه الابيات الحزينة والمبتسمة فى وقت واحد :

● **اشكرك يا الهى لانك خلقتنى سوداء**
اشكرك لانك لم تجعل بشرتى بيضاء
فانا احمل الآلام فوق رأسى
والبس ثوب خادمة
واحمل مخدومى السمين الاحمر الخدين
وليس هذا فقط
بل انى احمل العالم كله من اشراقة الفجر
الى ان يأتى المساء !
ولكنى مع ذلك اشكرك يا الهى
اشكرك لان الابيض لون عارض
اما الاسود فهو لون ثابت
لون كل الايام !

●●

انا سعيدة
انا مسرورة من تكوين رأسى
لانها صممت بطريقة تجعلنى
احمل بها كل آلام العالم !

●●

انا سعيدة
انا مسرورة من تكوين انفى الافطس
لانه يرتشف كل نسائم العالم !
انا سعيدة
انا مسرورة من لون بشرتى
لانه يجعلنى مع الليل
شيئا واحدا وعميقا !

●●

انا سعيدة
انا مسرورة من تكوين ساقى
لانهما يساعدانى على العدو فى كل مكان فى العالم
يا الهى انا سعيدة
يا الهى انا مسرورة

●●

اشكرك يا الهى لانك خلقتنى سوداء
اشكرك لانك لم تجعل بشرتى بيضاء
فالابيض لون عارض
اما الاسود فهو لون كل الايام
.. لون العالم الذى لا يتحملنى
العالم الذى لا يربت على كتفى
العالم الذى لا يبسم فى وجهى
ومع ذلك فضحكى عليه فى الليل
هو الذى يخلق النهار
وهو الذى يعطينى القدرة على ان اعيش
يوما آخر !
يوما آخر !

●●

اشكرك يا الهى لانك خلقتنى سوداء
اشكرك لانك لم تجعل بشرتى بيضاء !

«عبده بدوى»



مكانة العلماء العرب

فى تاريخ العلم

الدكتور عبد الحليم منتصر

ماذا عسى أن تكون مكانة العلماء العرب بالنسبة لعلماء العالم فى التاريخ وماذا عسى ان يكون الدور الذى لعبه هؤلاء العلماء ؟ لاشك أنهم يمثلون واسطة العقد ، فممثلو العلم الاغريقى ، والعلم الاسكندرى ، لم يكونوا مجرد نقلة ، لكنهم زادوا على ما ترجموه من هذه العلوم ، وأضافوا اليه الكثير ، وابتكروا علوما لم يعرفها هؤلاء او أولئك واستحدثوا فنونا لم يمارسها سواهم ، سطعوا فى سماء الحضارة الانسانية ، فرفعوا من شأنها وأعلوا من بنيانها ، وظلت مؤلفاتهم العمدة التى يعتمد عليهاأهل الصناعة فى أوروبا طيلة قرون وقرون ، وكانت كتبهم تدرس فى جامعات اوروبا الى عهد غير بعيد . وقد نقل عنهم علماء اوروبا دون أن يشيروا اليهم فى أغلب الاحيان مع الاسف الشديد . الفوا فى الطب والكيمياء والرياضيات والفلك والطبيعة والضوء والمعادن والميكانيكا ، وكانت كتبهم تدرس فى جامعات اوروبا حتى القرن السابع عشر ، حتى قيل بحق انه لولا أعمال العلماء العرب ، لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدءوا من حيث بدأ العلماء العرب ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون .

وفى الحق ان كثيرا من النظريات العلمية الحديثة، انما تمتد جذورها الى **علماء العصر الاسلامى** ، منذ قرون واجيال ، ولسنا ندرى على التحقيق ، ماذا لو استمرت هذه الحركة العلمية الاسلامية العارمة ، لم تعوقها معوقات المغول والتتار والترك والاستعمار الغربى آخر الامر ، واتيح لها أن تستفيد من مبتكرات العلم ومستحدثاته وأجهزته وأدواته ؟ لاشك ان ما يتيه به القرن العشرون من ذرة والكترون ورادار ومذياع وتلفاز وصواريخ وأقمار وسفن فضاء ، لا شك أن ذلك كله يكون من نصيب قرن آخر ، يتقدم على هذا القرن الحالى بقرون وأجيال ، وكانت هذه النهضة من نصيب أمتنا العربية وعلى أيدى علمائها ورواد نهضتها ، ولكنها ارادة الله أن نزرع ليجنى غيرنا الثمار ، ارادته أن تكون القوة فى ركاب العلم ، وأن يغتر الانسان بقوته ، فينسى علمه ، فتزول قوته .

لقد كان المصريون القدماء أقوياء عندما كانوا علماء ، وعندما ابطرتهم النعمة والترف ضعفوا وخضعوا للاغريق والرومان الذين كانوا عندئذ فى عنفوان قوتهم وعنفوان علمهم ،وكان الاغريق أقوياء عندما كانوا قوما عالمين ، عندما ازدهوا بطاليس وفيثاغورس ، وابقراط وديمقراط وسقراط ، وافلاطون وارسطو ، وظهر الاسكندر واسس دولة ودان له المشرق ، ولكن خلفاءه ابطرتهم النعمة وانغمسوا فى الترف ، فزالت دولتهم ، وظهرت دولةالبطالمة فىمصر وازدهت بجالينوس وارشميدس واقليدس وبطليموس ومن اليهم ، ثم ظهرت أمة العرب ، التى قويت بالاسلام **اولا** ، وبالعلم **ثانيا** ، وامتدت رقعة الامبراطورية العربية من مشارق الصين شرقا ، الى حدود فرنسا غربا وازدانت بعدد من الحكام والولاة من أمثال المأمون والحاكم بأمر الله وصلاح الدين الأيوبى ، ونظام الملك ، ونور الدين زنكى ممن كان لهم أثرهم البارع فى نشر نور العلم والعرفان فى أرجاء الامبراطورية العربية الاسلامية ، وسطع فى سمائها علماء مبرزون من أمثال ابن الهيثم

والبيروني وابن سينا وابن النفيس وجابر بن حيان والخازن والبتاني والفرغاني ، والمجريطي والجلوركي والبغدادي ، وداود ، وابن البيطـــار والدينوري ، والغافقي ، والقزويني ، والخوارزمي ،وابن الصوري وابن يونس ، وابن حمزة ، والجاحظ ، والفارابي ، وابن رشد ، وابن مسكويه، وابن خلدون ، والادريسي وغيرهم • ومن أسف أن انغمس بعض خلفاء المشرق في الترف والسلطان ، فداهمهم التتار ، وحلت بهم النكبة ، كما حلت النكبة بالامبراطورية العربية في الأندلس ، ثم صحت أوربا في عصر النهضة وظهر أساطين العلم من امثال دافنشي ، وجاليليو وكوبرنيق، ونيوتن ، ودالتن وديكارت وكبلر، وداروين ولامارك ولافوازيه وباستير ، وكانت الذخائر العلمية العربية، قد نقلت الى اللاتينية واللغات الاوربية ، بها غنوا وأثروا ، فقدروا العلم ، فقووا وسادوا ، واستعلوا في الارض ، وها هي ذي القوة والغلبة تتنازعها دولتان ، احداهما في الشرق هي روسيا السوفييتية، والاخرى في الغرب هي أمريكا ، انها القوة حيث العلم •

ولعله درس وعظة وعبرة لنا نحن العـرب ، الا نهفو الى الاغفاء مرة اخرى ، والا نترك قصب السبق من أيدينا ، وأن نعض بالنواجذ على تراثنا التليد ، وأن نعمل على احيائه وأن نجعل العلم وسيلتنا الاولى والأخيرة لنسنم ذرا المجد ، لنساير الركب ونحتذيه ونواكبه ، ولعلنا أن نقوده في مدارج الرقي والرفعة كما فعل اسلافنا اول مرة •

وبالرغم من أن الكثرة الغالبة من علماء الغرب ، قد أعماها التعصب والحقد فلم تعترف للعلماء العرب باى انتاج بل منهم من استعمل الالفاظ النابية في وصف الانتاج العلمي العـربي والعلمـاء العـرب ، فرماهم بالبربرية والجهالة ، ومنهم من تجاهل اطلاقا هذه الحقبة الوضاءة في تاريخ العلم العربي ، الا أن قلة من علماء الغرب ، اعترفوا بفضل العلماء العرب في حفظ التراث العلمي الانساني من الضياع ، وفي متابعة التفكير العلمي الصحيح، فنقلوا العلم الاغريقي والعلم الاسكندري الى اللغة العربية ، نقلوه بعد أن فهموه وحذقوه ، ثم اضافوا اليه وزادوا عليه وكان لهم أعظم الفضل في خلود هذا التراث •

يقول « برنال » ان الفضل أعظم الفضل للعلماء العرب في الحفاظ على هـذا التراث وتدوينه ونقله والتاليف فيه ، وأن العلماء العرب قدبرعوا في ذلك وانهم تفـوقوا على الاغريق ، بأن جعلوا العلم سهلا مستساغا ، فاقبل الناس على النهـــل منه ، وكانت ميزة تفرد بها العلم العربي •

ويقول « سارتون » في صدد الحـديث عن ابن سينا : لقد كان لكتبه من القيمة والاحاطة ما جعل علماء الكلام ، يقبلون على دراسة كتبه ، واستغنوا عن غيره من المصادر ، وان كتبه وما كتبـــه هو عن لعلماء لمن الوفرة بحيث يندر أن تخلو مكتبة عامة منه •

ويقول « كاربنسكي » : ان الخدمات التي اداها العرب للعلوم غير مقدرة حق قدرها من المؤرخين ، وأن البحوث الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا نور العلم بينما كانت أوربا غارقة في ظلمات القرون الوسطى وأن العـرب لم يقتصروا على نقل علوم الاغريق ، بل زادوا عليها ، وقاموا باضافات هامة في ميادين مختلفة •

لقد ادرك الغربيون فضل العلماء العرب ، وكانت الجامعات الاسلامية في الشرق معقد آمالهم وكعبة قصادهم وكان علماء المسلمين في تلك الجامعات ، يرحبون بضيوفهم وتلاميذهم ، وأخذوا ينقلون هذه الدفاتر العلميـــة ويترجمـون الكتب العـربية الى اللاتينية ، وقد جاء في مقدمة احد كتب الكيميـاء ما يأتي : انـــكم يا معشر اللاتينيين لاتعرفون بعد ما هي الكيمياء ولا ما تراكيبها واصولها وسترون ذلك مشروحا في هذا الكتاب الذي ننقله عن العربية• ويقول سارتون عن ابن الهيثم : انه أكبر عالم طبيعي مسلم ، ومن أكبر المشتغلين بعلم المناظر « الضوء » في جميع الازمـــان • ويقول كاجورى : ان العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العلماء العرب في الجبر ، وهم من أول من أطلق لفظ الجبر على العلم المعروف وهم من أول من الف فيه بطريقة علمية منظمة •

ويقول المستشرق « سخاو » عن البيروني : انهاكبر عقلية علمية في التاريخ ، وانه من أضخم العقول التي ظهرت في العالم ، وانه أعظم علماء عصره ، ومن اعظم العلماء في كل العصور • ويقول مايرهوف : ان اسم البيروني ابرز اسم في موكب العلماء الكبار واسعى الافق الذين يمتاز بهم العصر الذهبي للاســلام • ويقول المستشرق الامريكي « ابريوب » : في أية قائمة تحـوى اسـماء أكابر علمـاء يجب أن يكون لاسم البيروني مكانه الرفيع • ومن المستحيل أن يكتمل أى بحث في الرياضيات أو الفلك أو الجغرافيا أو علم

لانسان او المعادن ، دون الاقرار بمساهمته العظيمة في كل علم من تلك العلوم ٠

وممن انصفوا جابر بن حيان هولميارد الذى وضعه فى القمة بالنسبة للعماء العرب ، وبدد الشكوك التى اثارها حوله علماء مغرضون ، كذلك انصفه سارتون الذى ارخ به حقبة من الزمن في تاريخ الحضارة العلمية الاسلامية ويقول :« ما قدر جابر أن الكتب التى الفها لا يمكن ان تكون من وضع رجل عاش فى القرن الثانى للهجرة ، لكثرتها ووفرة ما بها من معلومات » ويقول « دراير » : لقد كان تفوق العلماء العرب فى العلوم ناشئا عن الاسلوب الذى توخوه الى بحوثهم ، وهو أسلوب اقتبسوه من اليونان ، لقد تحققوا أن الاسلوب العقلى وحده لا يكفى ، ولابد من أسلوب علمى تجريبي ، وهذا هو الذى دفعهم لهذا الترقى العظيم في الهندسة وحساب المثلثات والجبر والفلك والطب وغيرها من علوم ٠ ويروى « فرانتز روزنتال » فى كتابه « مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى » قول « فون كريمر » وهو يصف النشاط العلمى عند علماء المسلمين « ان أعظم نشاط فكرى قام به العرب ، يبدو لنا جليا فى حقل المعرفة التجريبية ، ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فانهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين حتى يلاحظون ويمحصون ، وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة او أخذوه من الرواية والتقليد وكذلك فان اسلوبهم فى البحث اكبر ما يكون تاثيرا ، عندما يكون الأمر فى نطاق الرواية والوصف، ولذا يحتل التاريخ والجغرافيا المقام الاول فى أدبهم وبصفتهم اصحاب ملاحظة دقيقة ، وبصفتهم مفكرين مبدعين ، فانهم قد أتوا بأعمال رائعة فى حقل الرياضيات والفلك ، وللسبب ذاته نجح العرب فى التشريع ، وفى وضع قواعد اللغة من صرف ونحو فى شكل شامل محكم ٠ ويروى روزنتال « أن البيرونى امضى أكثر من اربعين سنة وهو يفتش عبثا عن نسخة من كتاب « مانى » سفر الاسرار » الى أن وفق فى الحصول عليه ٠ ويردد قول العلماء العرب « ينبغى لطالب العلم أن يعتنى بتحصيل الكتب المحتاج اليها فى العلوم النافعة ما امكنه شراء أو ايجارة أو عارية ، لأنها آلة التحصيل » ٠ وقولهم من بخل بالعلم ابتلى باحدى ثلاث أن ينساه او يموت فلا ينتفع به أو تذهب كتبه ٠

وكذلك من الحق أن نقول ان الامة العربية ، قد واتتها ظروف طيبة ، جعلت لها مركزا قياديا فى العلم، نهلت من العلم الاغريقى وأضافت اليه ، ومن المستحيل أن نتصور أن تنقل أمة علم أمة أخرى دون أن تكون قد بلغت من التقدم الحضارى ما يؤهلها لاساغة هذا العلم الذى تنقله ٠ ولا نعرف أمة فى التاريخ ، قد عنيت بالعلم ، كما عنيت الأمة العربية بالعلم فى عصورها الاسلامية الزاهية، حتى كان العلم والحركة العلمية جزءا من حياتها بل من كيانها ٠

فلنعمل على تصحيح تاريخنا العلمى ، ولنتخذ من أئمة الفكر العلمى الاسلامى مثلا تحتذى ، ولننشر أعمال العلماء العرب من امثال من ذكرنا وغيرهم ممن يفخر بهم العلم وتتيه بهم على الزمان ، وتدل بهم امة العرب على سائر الامم ٠

« د٠ عبد الحليم منتصر »



تقديم: عبد الفتاح البارودى

مسرحية الحصار

لا أنكر ان هذه المسرحية تجربة شاقة ، ولكنها غامضة . وغموضها اضاع كثيرا من قيمتها الفنية

ان غموضها لم ينشأ فقط من اختلاط الرموز بالواقع والعبارات المفهومة بالعبارات التى تشبه الالغاز والمشاهد المحددة بالمشاهد الباهتة التائهة .. الخ .. وانما نشأ من الاسراف فى ذلك كله ..

وليس معنى هذا ان مسرحية **الحصار** غير مفهومة اطلاقا . ولكن كما انها تتدافع بين أحداث وشخصيات غير مرسومة بالأسلوب المسرحى ، فكذلك تتدافع فى معانيها ومغزاها واهدافها . أن كان لها مغزى أو أهداف

هل يقصد مؤلفها « ميخائيل رومان » تقديم اسلوب مسرحى جديد او شكل مسرحى جديد مثلا ؟! انه يقدم لنا مجموعة من خواطره الشخصية فى اطار يجمع بينها بصعوبة من كثرة الشطحات والاستطرادات ، وهى وان كانت شطحات واستطرادات ذات معان متنوعة ، فان المؤلف قصد بهذا التنويع مجرد الاثارة احيانا والاغراب أحيانا .

ولا شك فى أنه عالج ذلك بذكاء وخفة دم ، ولكن لاشك أيضا فى انه لو كان قد أرهق نفسه فى التزام جوهر القواعد المسرحية لكانت روايته اكثر احكاما ، ولكنه فضل — فيما يظهر — أن يرهق المتفرجين فاسترسل واستطرد بلا قيود وبلا حدود .

ان اوضح ما يمكن استخلاصه من المسرحية انه يتهم المثقفين بعدم التفاعل مع المجتمع ... ولكن من هم المثقفون الذين يقصدهم ... جائز أن له حكاية مع بعض المثقفين لا يريد أن يتناولها بصراحة ... وجائز ان هذا هو سبب الغموض الملحوظ فى الرواية ، ولكنه — كمؤلف مسرحى — يكتب روايته للناس ، واذن فكان ينبغى أن يجسد شخصياته بحيث تحدد مقاصده ومفهوماته بحيث تقنعنا على الأقل وهى تتحاور وتتصارع . . . ولكنه لم يفعل، ولهذا لم نعرف مفهومه للثقافة . . وايضا شخصياته لم تتحاور ولم تتصارع ، بل كانت تتبادل الكلام والحكايات والخواطر بدون تماسك غالبا .

ولناخذ امثلة من الرواية نفسها ... انه — مثلا — حينما يتحدث عن الانتاج الأدبى والفنى يقول : « اكتب اى حاجة .. اى كلام فارغ ... » ... واذن فهل المثقفون الذين يقصدهم هم الذين ينطبق عليهم ذلك ؟! اننا نراه فى مواضع اخرى يعمم احكامه بحيث يجعلنا نعتقد أنه يقصد بذلك كل المثقفين بدون استثناء ، وخاصة أنه لم يرسم بين شخصياته اى شخصية يبلور فيها معنى المثقف ثقافة حقيقية كما يتصور

وافرض انه اراد ان يكشف الثقافة المزيفة والمثقفين المزيفين ، فهل أوضح اسباب هذا التزييف ؟ ! انه بين حين وآخر يذكر شيئا عن الماضى حيث كانت الحرب ، وحيث كان الاستعمار لايزال جاثما ... وكنت أرجو أن يربط بين الاستعمار والتزييف الثقافى ، فلا جدال فى أن الاستعمار هو السبب الاول فى خلق المزيفين فى

الثقافة وغيرها ، وفى كل الانحرافات التى كانت تحدث فى بلادنا ... واذن فقد كانت أمام المؤلف فرصة سانحة لتحديد نوع المثقفين الذين يقصدهم

ايضا كانت امامه فرص اخرى عندما اشار الى بعض الأحداث القومية ليصور انحراف هؤلاء المثقفين المزيفين تصويرا مسرحيا ، ولكنه اكتفى بالحوار القافز بين الشخصيات دون ان تتبلور فيه المعانى التى يريدها

والواقع انه لم يكن من الممكن ان يحدد او يجسد او يبلور اى معنى او اى شخصية بهذا الاسترسال الذى بلغ درجة (الخطرفة) احيانا

انه ـ مثلا ـ حينما يسخر من بعض الأشخاص، يقول « فيه رجاله بتلبس بنطلونات » ، ولعله بذلك يصور سخريته من رجولتهم فى المواقف الجادة، ويظهر انه يشير الى معركة جادة او احداث جادة هربوا من مواجهتها ... المدهش هنا انه عقب ذلك يقول بدون اى مناسبة عبارات غريبة ، وهى بالحرف الواحد : « اللمون شفا ... امى بتقول كده » ! !

ما دخل الليمون فى هذا ؟ ! وما الداعى للاستشهاد برأى امه ؟! صحيح ان هذه عبارات مثيرة ، وقد تتراءى له منها معان معينة ، وقد يكون ورودها فى هذا السياق طريفا ، ولكننا قبل كل شىء بصدد رواية مسرحية ، ونعلم تماما ان للحوار المسرحى منطقه الفنى الذى يجب ان يراعيه المؤلف ، واذن فما معنى هذه العبارات ، وما دخلها هنا ؟ !

ايضا فى المشهد التالى نسمع عبارات اشد غرابة ... ومنها مثلا : « يابو عبده مش مهم ان البطيخة تكون حمرة ... الخ » ... والطريف انه يسترسل فى هذه النقطة بدون اى مبرر فنى ايضا ، فنسمعه يقارن بين البطيخ الاحمر والاقرع وعلاقة ذلك بالحلاوة .. الخ ...

ان المؤلف لا يردد عباراته الغريبة على لسان شخصية غريبة مثلا لنستسيغ سماعها منها ، وانما يرددها بين كل الشخصيات وعلى ألسنتها جميعا ، وكأنك تسمع شخصيات فى رواية من روايات العبث التى نسميها احيانا باللامعقول

وبديهى أن هذا ليس له اى مبرر فنى ...



« جلال الشرقاوى »

وطبعا كلنا نعرف ان العبث انتشر فى روايات معينة لبعض كتاب اوروبا لأسباب خاصة بهم وتتعلق بظروفهم المختلفة كل الاختلاف عن ظروفنا ، فما الداعى اذن لاستخدام منهجهم فى التاليف او فى التناول الفنى ؟ !

وما الداعى لاطلاق عبارات لا معنى لها ، وبتركيبات لفظية لا رابط بينها ، مثل « هتلر وباركر وفوكنر » ! ! ومثل استطراداته التى تؤكد عدم التزامه بالحوار المسرحى ، مثل « فوكنر قتله الويسكى ، وهمنجواى قتلته رصاصة » .

وكذلك فى مشهد بائعات اليانصيب ، تقول احدى الفتيات البائعات : « خد ورقة يا صاحب اليانصيب » ، فيقول لها « امى قالت فى مناسبة زى دى : البايرة على بيت ابوها » ! !

وهو لا يتحدث عن امه فقط ، بل يتحدث ايضا عن ابيه الذى مات بنفس الدردشة ، فيقول : « ابويا فى القبر حاطط رجل على رجل وماسك شيشة عجمى » ! !

طبعا من الممكن ان نستطرد مع المؤلف ونستخرج من هذه العبارات معانى كثيرة ، ولكننا فى هـذه

الحالة تتهم أيضـــا « بالمطـــرقة » .. فان من أبجديات المسرح ان المؤلف يعبر عن آرائه وافكاره بشخصيات مقنعة تتحاور وتتصـــارع فى اقناع فنى ... واذن فلا مبرر اطلاقا لأن نستعير لمؤلف (الحصار) معانى من خارج مشاهده لنحاول ان نجد لمسرحيته معنى أو قيمة فنية

والظاهر انه اراد ان يستخدم ذكاءه بشـــكل يجتذب اليه الأنظار فحدث العكس ، اى حـدث ان روايته لم يفهم احد ماذا يريد بها ، أو على الأصح ماذا يريد بهذه الشطحات ؟

انه يشطح فى احد المشاهد الى حى ســـيدنا الحسين ، وهو الحى الشعبى المعروف فى القاهرة، فيقول فى الحوار : « ماذا حدث فى الحسين ؟ جاء عبد السيد ... ثم ماذا ؟ ... ومسحت الجزمة ودلقت عليها ميه ، ان الجزمجى يتكلم او يفتح بقه ، وراســه والف جزمه » ... وعقب هـذه العبـــارات مباشرة يقول : « انت اهلاوى ولا زملكاوى » ! ! وعقب ذلك مبـاشرة يقول « انا ترساناوى ... والترسانة سنة ٣٠ أيام صدقى اللعين !! » ... هذه الاستطرادات لا شك فى ان فى داخلها معانى يريد أن يذكرها ، ولكنه يذكرها فى غموض ، او على الأقل لا يذكرها فى التـركيب المسرحى

انت تلمس معانى معينة من ذكر سنة ٣٠ وذكر صدقى اللعين فى نفس الجملة ، وفى ذكر الترسانة، وطبعا يقصد الترسانة « الورشـــة » بينما هى فى ســـياق الكلام فرقة كرة قدم ... كذلك تلمس معانى معينة عندما يقول الزوج لزوجته انه ذاهب الى حى الحسين ليؤدى عملا ، فتكتشف الزوجة انه ذاهب الى « سهرة » مع زملائه ، وتتشـاجر معه ، فيقول لها : « ايوه شغل .. معانا خواجه يبقى فيه شغل » ! ! وعندما تقول له الزوجة « خدنى معاك » تسمع الاجابة « ولا انتى سايحه ولا انتى فنانه ياخدك ليه الى حى الحسين »

هناك معان كثيرة فى هذه الاستطرادات لمن يريد أن يستخرجها ، ولـكن هل نشاهد المسرحيات لنستخرج المعانى باصطيادها ؟

بديهى انه لا يمكن اعتبار هذا تجديدا . . . هذا — على الأكثر — خروج على المألوف لا فائدة منه ، لأنه خروج على جوهر المواضعات المسرحية

وايضا هناك سخرية مقبولة وذكية ، مثل ذكر سؤال عن النهضة المسرحية ، فتســمع الاجابة فى الحوار « ازى صحتك » ... طبعا لا علاقة بين السؤال والجواب بالمعنى الحرفى ، ولكن فى تتابع هذا السؤال بالذات وهذا الجواب بالذات براعة .. غير ان هذه السخرية البارعة قليـلة بل نادرة فى الرواية كلها ، ومعظم النكت لفظية

ولا ادرى لماذا يملأ المسرح بالضجيج والتداخل فى الحوار والمشـــاهد المزدحمة ... ان المخرج **جلال الشرقاوى** مسئول معه عن ذلك ، لانه ايضا حاول الاثارة

اننا فى الفصل الاول نشاهد مشـهدا للمثقفين وهم يعملون محررين فى احدى الصحف ، ونلمس تكاسلهم ، ونـسمع حوارهم المتراخى .. الخ .. وخلال هذا المشهد المعقول نجد — مثلا — شخصين يواجه كل منهما الآخر فى صمت ، ولا ترى منهما غير تحريك الايادى تحريكا غير مفهوم ... جائز ان المؤلف والمخرج يقصدان بذلك معنى محددا ، ولكن المؤسف اننا لا نستطيع ان نزعم اننا فهمنـا ماذا يقصـــدان على وجه التحديد أو على وجه التقريب ؟

هناك اشياء مفهومة ... ان المخــرج يترك الشخصيات فى بعض المشاهد تدور حول نفسها فندرك ما يعتمل فيها من قلق ، وما يحركها آليا وميكانيكيا ... والمخرج ايضا يستخدم الـكورس فى اشكال متعددة ببراعة ويحرك افراده ببراعة .. وهو كذلك بارع فى تحريك الممثلين على مستويات وضعت بمقاييس فنية ذات دلالات فنية .

وايضا للمخرج فضل اختيار الممثلين المتناسبين مع اداء شخصياتهم ... والممثلون انفسهم بلغوا درجة الامتياز ... ان **سعد أردش** كان عميقا فى التعبير عن كل مشهد اداه ، **ومحمد الطوخى** مثل دورا قويا ، وكان عاصفا ثم مستســـلما حسب طبيعة دوره وفى اداء رائع ... ايضا المخرج جلال الشرقاوى أدى دوره كممثل بامتياز .. **وسميحة ايوب** مثلت دورها بفهم لمعانيه المضطربة الغامضة

والرواية على وجه العموم تجـــربة جـــديرة بالتقدير، ولولا اتجاه المؤلف نحو الاغراب او الابهام لأمكن أن نعتبر من أنجح التجارب المسرحية ، ومع ذلك فاننى اعتبـــرها مسرحية ناجحـــة حتى فى التأليف ! !

« عبد الفتاح البارودى »

مع فنان

تقديم

فاروق حسن عمر



● رمسيس مرزوق

● ولد بالبدرشين في ١-٦-١٩٤٠

● التحق بكلية الفنون التطبيقية في عام ١٩٥٦ وتركها بعد ثلاث سنوات ليلتحق بالمعهد العالي للسينما عام ١٩٦٠ .

● اشترك في معرض المؤتمر الآسيوي الافريقي عام ١٩٥٨ .

● حصل على جائزة الدولة لمكافحة المخدرات عام ١٩٦٠ .

● اقام معرضه الاول بمتحف الفن الحديث عام ١٩٦١ .

● اقام معرضه الثاني بمتحف الفن الحديث عام ١٩٦٣ وكان يتسم بالتجريدية والسريالية .

● كون جمعية الفنون السينمائية عام ١٩٦٣ لمناقشة الافلام العالمية ودراسة الاتجاهات الحديثة في السينما ومحاولة تطوير الفيلم العربي واسباب تدهوره .

● صور كتابا عن الآثار المصرية طبع في لندن من تأليف سفير فنزويلا سنة ١٩٦٣

● اشترك بتسع لوحات عن مصر اليوم في معرض الصداقة بموسكو عام ١٩٦٤ .

● حصل على دبلوم المعهد العالي للسينما بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف .

● حصل على جائزة عيد العلم التاسع .

● يسافر في أكتوبر القادم الى ايطاليا في بعثة لدراسة التصوير لمدة سنتين .

التصوير الضوئي وعلاقته بالفن التشكيلي

يفرق كثير من الناس بين الفنون التشكيلية وفن التصوير الفوتوغرافي، بل يذهب فريق منهم الى ابعد من هذا اذ يعتبرون التصوير الضوئي لا يمت للفن بصلة معتمدين في هذا على ان الصورة الفوتوغرافية نتيجة (كاميرا وفيلم حساس) اي للصناعة دخل كبير في تكوينها .

حقا ان الصورة الفوتوغرافية هي نتيجة العدسة التي تنقل ما امامها للفيلم الحساس المكون من الهالوجينات الحساسة للضوء، ثم تتبعها عمليات كيمائية لاظهار وتثبيت الصورة وبهذا اصبح لعلم الطبيعة والكيمياء دخل في اخراج الصورة . فيوميا تسجل بلايين من الصور ولكن قليل منها يعد صورا فنية ممتازة ، اذ لا بد ان يكون هناك سر آخر غير العدسة والفيلم يتدخل في تكوين هذه الصورة وهو الفنان الذي سيطر على هذه الآلة وجعلها تطوع احساسه وادراكه الفنية في خلق الصورة النهائية وعلى هذا يمكن القول ان الصورة الفوتوغرافية تنتج من ثلاث قطاعات : الفنان اولا ثم العدســـة ثانيا ثم الفيلم اخيرا . اما من ناحية اخرى فنجد التصوير الضوئي في جميع بلدان العالم قد حقق تطورا كبيرا واصبح يتمشى مع الفن التشكيلي في اتجاهاته الحديثة من التجريدية والسريالية كما ظهر واضحا في اعمـــال الفنان . رمسيس مرزوق . الذي قاد التصوير الفوتوغرافي المصري في هذا الطريق الحديث فحقق نجاحا ملموسا وعالج بثقافته واحساسه موضوعات كثيرة قد تعجز عنها فرشاة الفنان . وبهذا اخرج فن التصوير عما كان عليه في القديم واصبح فنا حديثا متطورا يحمل الكثير من المعاني المجردة والاحاسيس الدفينة كما رأيناه في اعماله مثل : لوحات (النيل واهب الحياة) التي عبر فيها بواسطة جمجمة على جبل ومن خلفها بعض الاشجار عن انه لولا النيل لاصبحت مصر صحراء جرداء . وكذلك (نهاية مدمن) و (بنزهير) و (آخر الليل) و (لقاء) .



بائعة البط



الخبازة



البناء

بقلم : محسن عبد الحي

الجهاد الأفضل

تأليف : عمار أوزيجان

تتميز المرحلة الحالية التي تجتازها جماهيرنا العربية - عن غيرها من المراحل السابقة بكثير من اللقاءات الفكرية المباشرة بين اجهزتها السياسية العاملة على المستوى السياسي والتنظيمي .. وتنبع اهمية هذه اللقاءات من كونها لقاءات اخوة يعملون لهدف وحدوي واحد في اطار تقدمي محدد.. فالاتحاد الاشتراكي العربي في الجمهورية العربية المتحدة وهو حصيلة تحالف قوى الشعب العاملة وكذلك الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق ثم حزب جبهة التحرير الجزائري . يمثلون في لقاءاتهم الثنائية .. نقاط الارتكاز العقائدية على طول الجبهة العربية .. واذا كانت جماهير شعبنا في نضالها البطول من اجل الوحدة والتقدم تعتبر الى حد كبير مسئولة عن التغيير الكيفي في داخل مجتمعاتها المجزأة حاليا الى كيانات سياسية منفصلة ، فان هذه اللقاءات وما ينتج عنها من مناقشات بناءة تكون ما يمكن تسميته بالحيز اليومي للحركة العربية الثورية الواحدة . سواء بما تقدمه من حلول تنظيمية على مختلف المستويات - او بما تقدمه من آراء ومواقف محددة لطبيعة تجربة شعبنا الاشتراكية والفروق الواضحة بينها وبين غيرها من الحركات الاشتراكية في العالم.. اذ ان الاشتراكية عموما ليست وصفة جاهزة وثابتة تصلح لكل مكان وزمان - والاشتراكية كعدالة اجتماعية وكتحقيق للأساس المادي لهذه العدالة تختلف باختلاف الوسيلة الخاصة للوصول الى هذا الأساس . واى فكر اشتراكي لا يلتصق باصول مجتمعه وحقائق وجوده يصطدم بكثير من العقبات - تلك العقبات التي يمكن ان تحول اى فئة اشتراكية منفصلة عن واقع مجتمعها الى فئة فوضوية متسلطة على شعبها لكي تكون في النهاية طبقة بيروقراطية جديدة تشل حركة الجماهير وتجمدها في اطر ثابتة متحجرة .. واذا كان شعبنا العربي من المحيط الى الخليج يرى في هذه اللقاءات الثنائية - صورة واضحة للقاء الثوار.فان شعبنا يرى انه قد اصبح ضروريا.ان تتوسع قاعدة هذه اللقاءات بصورة تبعد عنها صفة الانعزالية او الاقليمية وشعبنا بعد ذلك يريد ان تكون هذه اللقاءات متعددة الأطراف بحيث لا يقتصر النقاش على - كيف تفعلون كذا ثم .. اننا نفعل كذا - لأن الحقيقة تفرض ذاتها من حيث ان اجتماعات ولقاء المنظمات السياسية في كل جزء من اجزاء وطننا انما هي منظمات شعب واحد لا عدة شعوب متفرقة .. ويريد المواطن العربي الفرد ان يشعر بمذاق خاص لطعم المناقشات التي تقوم مثلا بين الاتحاد الاشتراكي العربي في الجمهورية العربية المتحدة وبين الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق وانها تختلف كما ونوعا عن مناقشات بين الاتحاد الاشتراكي العربي في الجمهورية العربية المتحدة ، والحزب الشيوعي الايطالي .

ثم ان تكتيك المناقشة نفسه يمكن ان يتحول مستقبلا الى معالجة قضايا شعبنا المصيرية وعلى راسها قضية الوحدة .. لان شعبنا يرى في لقاءات الثوريين والقادة تجسيدا لرغبته في بحث اقرب السبل والوسائل لتحقيق وحدته .. اذ ان التسيير الذاتي في الجزائر والمؤسسة الاقتصادية في العراق والقطاع العام في الجمهورية العربية المتحدة ودور الكوادر السياسية وتدعيمها - كل هذه المنجزات تعتبر لبنات ضرورية لتشييد بناء الوحدة الكبير وليست في حد ذاتها بناء منفصلا يمكن التركيز عليه والنضال من اجله الا في الحدود التي تساعد على دعم العمل العربي الوحد . اننا وحدويون تقدميون نخضع مواردنا ومنجزاتنا لارادة شعبنا الوحدوية .. واذا كان ضروريا ان يؤكد المرء منا على شيء هام يحسه ويشعر به فانني اشعر ان الوقت قد حان لكي يكون لدينا خطة عمل ملزمة تحكم سلوكنا الفكري ، واذا كنا نملك ميثاقنا الوطني ونتحرك من خلاله وعلى اساسه وجب علينا ان نتقيد بذلك ، مبتعدين بقدر الامكان عما يمكن تسميته بالآراء الخاصة .

وكتاب اليوم - الجهاد الأفضل - تأليف المناضل الجزائري عمار اوزيجان - عضو اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الجزائري بما فيه من آراء وافكار ثورية - يحدد لنا طبيعة الثورة الجزائرية وكيف يفكر اخوتنا في الجزائر في اهم قضايا الساعة التي تشغل بالنا من ناحية الافكار العامة التي يلتزم بها شعبنا في الجزائر سواء في فترة النضال المسلح او في فترة البناء الحالية .. اذ ان فترة البناء الحالية لجزائرنا العربية لا تنفصل اطلاقا فكرا وعملا عن واقع ثورتها البطولية ضد الاستعمار . والمؤلف - كمناضل ومفكر ، عربي - شارك في حرب التحرير بسلاحه وعقله ، ويشارك حاليا في بناء الجزائر العربية ، ولعل مشاركته في المناقشات التي دارت مؤخرا مع الاتحاد الاشتراكي العربي في الجمهورية العربية المتحدة.تؤكد دوره القيادي كمناضل

من مناضلي شعبنا العربي ، وتساعدنا في نفس الوقت على عرض تفكير شعبنا العربي في الجزائر لكي نعرف كيف واجه مناضلونا في الجزائر معركة النضال القومي المنفصل عن وصاية الحركة الشيوعية الدولية ، وبخاصة الشيوعيين الجزائريين والفرنسيين .

يقول المؤلف :

لقد فسر الدين في الجزائر بالتعاون مع العلماء المصلحين ، تفسيرا يخدم الوطنية الجزائرية . وقدمت الحركة الاصلاحية البناء الايديولوجي للقومية الثورية الذي قضى على النزعةالزهدية التنسكية التي كانت تشكل اداة في يد الاستعمار والملكية العقارية شبه الاقطاعية . وهذا المظهر الديني في كفاحنا القومي من اجل حرية العبادة الاسلامية يساعدنا على تحقيق العلمانية كشكل حديث للتسامح الاسلامي . والقول بان الاسلام يتناقض مع الاشتراكية يعتبر صورة خاطئة للنظرية - دون الماركسية - حيث تنبع الاشتراكية الاسلامية ، وانما اقتصاديا - واجتماعيا وانما . واذا كانت بعض العقليات العصرية تستعجل كثيرا في توديع الاديان توديعا مأتميا فانها لا تدرك ان العقيدة الاسلامية ليست محتضرة ، بل هي في كامل اندفاعها وحركتها ..

ان الوضوح السياسي والعقلية الثورية يستلزمان الاحتفاظ بالقيم الروحية التي يمكن ان تغذي نهضتنا في الحياة الصناعية المتقدمة . الا انه من الأسهل بصورة عامة ، اجراء تبديل اساسي في نظام اجتماعي معين داخل اطار رموزه ، من اجرائه عن طريق معارضتها .

ولقد عرف الخلق الاسلامي ان يخلق ، بين التقشف الصارم والخلاعة - التوازن المنسجم الذي يتجلى جماله في هذه الدعوة الى الاعتدال .. « يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » .

ونضال الطبقات مفهوم حيث وجد في المجتمعات التي سبقت المجتمعات الراسمالية ، لكن صراع الفقراء والاغنياء في الجاهلية وفجر الاسلام ايضا لم يكن ظهوره ممكنا الا في شكل تعارض بين السياسة والدين : كالهرطقة المسيحية ، ونزعة الخوارج ، والنزعة الشيعية ، والقرمطية .. الخ .

وتعتبر هذه الأمثلة دليلا قاطعا على بطلان المزاعم التي تناقض الحقيقة والتي تركز القول منذ الف عام حول عدم استعداد المسلمين الوراثي للتحرك والمطالبة بالعدالة الاجتماعية ، وهي امثلة تدين الاستغلال البغيض - استغلال الانسان لأخيه الانسان .

ان تطلع سيدنا عمر الى تحقيق العدالة الاجتماعية معروف لدينا جميعا . ونفس التطلع موجود ايضا عند ابي ذر الغفاري وقد اشتهر بكلمة تبرر عنف الجائعين « عجبت ممن لايجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه » .

ونحن نقتدي بابي ذر الغفاري باعتباره الاشتراكي الثوري الاول في الاسلام - الذي سبق الماركسية . حيث تجرد لدعاية فعالة ضد الأغنياء . ونجح في ان يخلق عند الفقراء حركة جماهيرية ، اجبرت الأغنياء على التقيد بمبادئ القرآن وتنفيذه » .

والاتجاه الذي سلكه معاوية في اضطهاد ابي ذر يؤكد حكمنا فان معاوية حامي الأغنياء ، الذي ولي الحكم بعد الخلفاء الراشدين تنكب عن طريق الديمقراطية المحمدية ليؤسس اول سلالة في الاسلام تتوارث الملك . وعرف سيدنا علي ابن ابي طالب ابن عم النبي وصهره بشجاعته الاسطورية . ولم تتميز شخصيته على بدقة الملاحظة في مسائل الدين فحسب وانما كان على الأخص ، بطل العدالة الاجتماعية . حيث نراه دائما الى جانب المعارضين السياسيين ، الفقراء منهم والمحرومين .

وهكذا كان الكفاح من اجل الاشتراكية قاعدة دينية .. لقد بذر الغفاري الاشتراكية في ارض لم تكن مهياة لتلقيها . لم يكن الفقراء وبسطاء الناس يستطيعون الكفاح الذي يوصلهم الى انتصار حاسم في مجتمع كانت البورجوازية فيه طبقة نافذة ، اكثر وضوحا واشد حيوية . ومع ذلك فقد جدد العالم العربي الاقتصاد العالمي بقضائه على الانظمة الاجتماعية في العالمين الروماني والفارسي القائمين على العبودية .

وبانطلاق المدنية التجارية ، بدا العلم والعقلانية والتقدم الانساني وابتدات الفنون ايضا في النمو والازدهار . لم تركت هذه البقعة الفسيحة الممتدة من الفرات الى الأطلسي لأوربا ان تسبقها في ميدان التقدم الصناعي .. ويعزو المؤرخون الغربيون الاستعماريون ، هذا الجمود الى القدرية واقفال باب الاجتهاد اي النقاش الحر ، والبحث الديني الحر . وهذا الرأي لا يقوم على اساس من العلم . فان اسباب انحطاط الحضارة الاسلامية لاتعود الى الدين الاسلامي ، ونجد التفسير الصحيح عند ابن خلدون الرائد الاول للمادية التاريخية . فقد كان اول من اظهر لنا ان الظواهر الاجتماعية تخضع لقوانين تنبع في الدرجة الأولى ، من التطور الاقتصادي ، في معزل عن الدين والجنس والوطن . ولذلك فان السر في كون اوربا قد لحقت بالعرب وسبقتهم - ليس في تفوقها الاخلاقي ، بل في تحول النظام الاقطاعي الى نظام راسمالي .

فمنذ ان فقد المجتمع الاسلامي السيطرة على التجارة بين آسيا واوربا ضعف دور التجار العرب نتيجة لضعف التبادل . وبدلا من ان تتوجه رؤوس الاموال التجارية نحو الصناعة ، اتجهت نحو الملكية العقارية ، وهكذا ادار التاجر العربي ظهره للتقدم الاقتصادي ، لكي يصير اقطاعيا .

ومن هذا الايمان بتاريخ ودور شعبنا القيادي للانسانية - قامت ثورتنا في الجزائر ، قام عرب الجزائر ليتموا ما بداه مناضلو شعبنا الرواد من ابي بكر وعمر وعثمان وابي ذر الغفاري وعلي ابن ابي طالب لكي يحولوا المرحلة الاقطاعية المتخلفة التي يمر بها شعبنا الى حركة اشتراكية وحيوية ثورية رائدة تثق بنفسها وبمقدرتها على قيادة العالم من جديد .

فالفكرة التي تجيش السواعد تصير قوة تاريخية تنظم بصورة مسبقة المصير المقبل للحياة الانسانية . فالاستقلال كلمة سحرية يمتزج فيها المثال بالواقع . انه يستقطب جماهير المضطهدين .

ويبطل ان يكون عاملا ذهنيا ، او همّا نفسيا ، او ترفا للحالمين بالحرية ، بل يصبح الاساس المشترك للوطن ، والمحرك الثوري الذي ينتزع المترددين من تصبيرهم ويقذف بهم في لجة العمل، والجماهير الجزائرية التي كانت ظاهريا سجينة ضمن اسوار القدر والخرافة ، تصير الآن مشحونة بالارادة والفاعلية كسلطة تحل محل السلطة الاستعمارية الهدامة .

ليس الاسلام اذن ،نقصا ورائيا، متاخرا ولا رادعا ايديولوجيا انما هو عصب محرك ضروري للثورة وهكذا يامر الحديث الشريف :

« اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لاخرتك كانك تموت غدا » .

فالعربي الجزائري المتمسك تمسكا عميقا بالاخلاق الاسلامية ـ يسهل عليه اكثر من سواه ، التحرر من قلق الموت ، فمنذ طفولته الاولى يتعلم الا ينام قبل تلاوة قانون ايمانه لكي يلاقي الموت الابيض بالاطمئنان ـ وبعد ذلك يجابه بلا خوف الموت الاحمر ، دفاعا عن شرفه وحرمته ، وحين يتعلق الامر بشرف وطنه ـ لا يكون كدودة الارض حيث يعجز عن عمل اي شيء آخر غير الزحف ، بل يرتفع الى مستوى الفراشة التي يغني لها جوته بقوله « الكائن الحي الذي يبحث عن الحياة في اللهيب » .

وعن موقف الحزب الشيوعي الجزائري من ثورة شعبنا في الجزائر يتحدث المؤلف باسهاب نلخصه هنا في النقاط التالية :

اولا : تعرضت ثورة شعبنا في الجزائر الى انواع متعددة من الضغوط نتيجة لراي الماركسيين الابدي الذي يؤكد دائما على انه لا يمكن لثورة اشتراكية ان تنجح الا من خلال حزب شيوعي وبالوسائل الشيوعية فقط .

ثانيا : في الوقت الذي كان يناضل فيه شعبنا في الجزائر فرنسا الاستعمارية كان يجد من يقول له يجب التعاون مع الكادحين الفرنسيين لاسقاط التسلط الراسمالي في داخل فرنسا ومن ثم يسقط الاستعمار في الجزائر !!

ثالثا : كان من طبيعة منطق الاشتراكية الاستعمارية عند محور موليه ـ اوجون ـ لاكوست . ان الوطن فكرة مضى عليها الزمن والتعلق بارض الاجداد هو عبادة قبور ، ولا يقرها العقل . والاصلاح الزراعي مستحيل تكنيكيا ، فالاراضي كلها محتلة ، ولقد قدم الاشتراكيون الاستعماريون الى الاستعمار اشد حكامه حماسة، واكثرهم رياء ووحشية،وكانت الخلافات الداخلية بين الاشتراكيين والشيوعيين الفرنسيين تغيب امام اتحادهم المقدس ضد العرب .

ولقد كان الحزب الشيوعي الجزائري ذيلا للحزب الشيوعي الفرنسي في مواقفه المتناقضة والعدائية من ثورة شعبنا في الجزائر، ونتيجة لذلك تحولت اللينينية في الجزائر وانحطت الى ذرائعية يتجرجر فيها الفكر المتحجر وراء العمل من اجل قطعة اللحم خارج الجزائر .. وكان الاصل الاجتماعي لقاعدة القيادة في داخل الحزب الشيوعي الجزائري ينتمي الى الارستقراطية العمالية الاوربية التي كانت تنظر الى نفسها دائما والى اعضاء الحزب المسلم من خلال عقدة التفوق ازاء العرب الذين كانت لهجتهم وطريقة نطقهم للفرنسية ، تذكرهم دائما بالخادم والبقال والزبال

ولقد هاجم الحزب الشيوعي الفرنسي ثورة شعبنا في الجزائر في بيانه الذي قال فيه :

« ان الحزب الشيوعي الفرنسي الامين على تعاليم لينين ، لايمكنه ان يقر اللجوء الى اعمال فردية قد تلعب لعبة الاشرار المستعمرين ـ هذا اذا لم يكونوا هم الذين دبروها » . وهكذا فان جميع محاولات التفسير العقائدي لم تنتج الا اقوالا من التبجح العلمي الكاذب ، وعن بيانات سكرتير الحزب الشيوعي الجزائري المضادة للثورة يقول المؤلف ..

« ان سكرتير الحزب الشيوعي الجزائري يريد ان يجهل انه جاهل ، وهو من الوقاحة بحيث انه يلعب دور « الغيرة المفرطة الباطلة » على ثورة بدات وانتهت بدونه » .

ان تفسير عزل القيادة البيروقراطية للحزب الشيوعي الجزائري وتبريرها بـ « اللاشيوعية » يعنيان اغلاق باب النقد الذاتي بحثا عن الاخطاء الشخصية الخاصة ، وهما يعنيان ايضا البحث عن حل لمشكلة مزيفة ، او التحرك دون جدوى ، شان النحلة العمياء . والانتحار .

وكيف يفسر اذن اعطاء الشيوعيين ما يسمى بالصفح ،البروليتاري، للاخ الاشتراكي ـ لاكوست ـ سفاح الجزائر المعروف .

وعند بداية الانتصار الثوري لشعبنا في الجزائر طالب الحزب الشيوعي الجزائري بتمثيله في الحكومة المؤقتة .. ويرد المؤلف على ذلك بقوله ..

« لابد ان يكون ابله ـ مسبقا ـ ذلك الذي يعلن بلا حياء رغبته في ان يحمل اللقب العظيم ـ كمؤسس للجمهورية الجزائرية مطالبا بحق ملكية بستان سقاه واخصبه فكر الاخرين وعرقهم ودماؤهم . ان الاستناد الى عوامل اخلاقية دون غيرها ، لا يعني اظهار الحماسة ضد اللينينية وحسب ، وانما يعني ايضا الهبوط بالمادية التاريخية الى مستوى هزليات جحا .

وبعد : فحين يكون المناضل مؤمنا بان الخير الاسمى هو الحرية وليس الحياة ، لا يمكن ان يكون مثله الاعلى ان يحيا ويهرم كالكلب ، بل يجب دائما ان يجابه الموت كالاسد .. ولقد اقام الاستعمار الفرنسي قفصا كبيرا لاسودنا الضارية الشجاعة فوق التراب الجزائري ـ من اسلاك شائكة مكهربة ، الى شبكة الغامية هائلة من الاسطول الراسي في المتوسط الى حاجز ديناميتي في الصحراء، مدعما بالطيران والرادار . ومع هذا لم يستطع ان يقتل روح الحرية بين ابناء جزائرنا الجامحة العصية على الترويض .

ومهما يكن من امر القوى التي وقفت ضد ثورة شعبنا العربي في الجزائر فاننا عندما نقدم يد الصداقة العربية الى غيرنا ـ فاننا لا نشعر باية عقد تجاه الاحزاب الشيوعية او تحليلاتها ، بل نحن نؤمن ،كما يقول المفكر العربي الجزائري حسين زهوان، بان خلاص الانسان سيكون بواسطة ابتكارات العالم الثالث .

« تحسين عبد الحي »

قراءات في المجلات العربية



يقدمها محمد العوانى

● فلسطين .. والثورة العربية

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « أخبار فلسطين » في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ ابريل ١٩٦٥ مقالا للكاتب « يونس الجرو » بدأه بتمهيد وضح فيه أن السبب الأساسي في كارثة عام ١٩٤٨ هو ضعف الأمة العربية وتأخرها عن الركب الحضاري ويقول ان « هناك علامتين مميزتين في تاريخنا العربي الحديث كشفتا الضعف والتخلف والجمود ، أولاهما فتحت الباب للاستعمار الغربي بكافة أشكاله وهي الحملة الفرنسية على مصر والشام عام ١٧٩٨ وقد كشفت هذه الحملة عن الضعف الذي كان يلف الوطن العربي ، وحاولت الثانية فتح الباب لاستعمار استيطاني يستهدف اجلاء شعب واحلال فئة عنصرية محله ، وهي نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ التي أيقظت العرب على حقيقة أوضاعهم في مجابهة العدو الجديد الزاحف » .

وانتقل المقال موضحا أن حصيلتنا في مواجهة الصهيونية كانت التمزق والتشتت والاستعمار والرجعية والتخلف والاقطاع والانقطاع عن العلم والحضارة والتقدم . ثم قال « ومن خنادق القتال استيقظت قيادة على الخطر الداهم ، فعرفت طريقها وعرفت سبب البلاء فكانت ثورة .. وكان التغيير وكان تيار العروبة والوحدة والاشتراكية في مواجهة الكارثة » .

ويستشهد الكاتب على أطماع الصهيونية التي بان بن جوريون يرى الصهيوني انه ليس المؤمن بقيام دولة اليهود في فلسطين فحسب ، ولكنه الذي يحمل حقائبه ويأتي الى اسرائيل ، ثم أضاف أن اسرائيل لا تزول بالخطب والحماس والأماني والشتم والتهور والمغامرة والمقامرة والمساومة وأنصاف الحلول وغيرها . ويرى الكاتب أن الحل الصحيح لهذه القضية هو أن تزول جميع الظروف التي أدت اليها ، فلا بد من احلال الوحدة العربية محل التمزق والتفرقة التي كانت .. ولا بد من تحرير هذا الوطن من الرجعية والاستعمار وقيام نظم متحررة مستقلة عن النفوذ والارتباط بالاستعمار بأشكاله المختلفة القديم منها والجديد .. وقيام مجتمع اشتراكي ديمقراطي يقضي على التخلف والاقطاع والرأسمالية والاحتكار ويقيم العدالة والمساواة » .

ويذكر الكاتب أن المؤرخ الانجليزي « أرنولد توينبي » يرى أن القضية الفلسطينية لن تحل حلا نهائيا الا اذا اتحد العرب ، لذلك فان الوحدة هي الطريق الوحيد للعودة ! وواقع المعركة وظروفها يتطلب ضرورة هذه الوحدة ، اذ أن التصور بامكانية أي حل لهذه القضية بعيد عنها انما هو مغامرة وخيالة .

● اللغة رباط اجتماعي :

نشرت جريدة « النيل » السودانية الصادرة في ٢٣ ابريل ١٩٦٥ مقالا عن اللغة العربية طالب فيه كاتبه بضرورة العناية باللغة العربية والعمل بكل الوسائل على احيائها ، لأنها من أهم الروابط التي تربط أبناء الأمة الواحدة ، فهي تربط أبناء

الجيل الحاضر بالأجيال السابقة فتنتقل اليهم كل ما بذلته الأجيال السابقة فى دعم الحضارة والاستقلال على مر الأجيال » .

ودلل المقال على ما للغة العربية من قيمة فاشار الى أن المواضيع الأدبية والقصص الاجتماعية التى يقرؤها السودانيون لكتاب عرب من مصر أو من بلاد الشام ومن العراق يجدون فى قراءتها تجاوبا أدبيا واتصالا روحيا . واللغة العربية لا تقف فائدتها عند هذا فقط ، بل انها تتعدى ذلك بكثير . ففى الأزمات السياسية يلتف حولها العرب لمنازلة المستعمر الغاشم ، ويستدل المقال على ذلك بان السودان شارك بقلمه ودمه المجاهدين الجزائريين أثناء أزمتهم السياسية مع المستعمر الفرنسى ، كما شارك الجمهورية العربية المتحدة أيضا أثناء أزماتها السياسية وقت الاعتداء الثلاثى عليها - ثم تحدث عن السياسة الاستعمارية فى السودان وكيف أن الانجليز جعلوا مواد الدراسة بلغتهم حتى أدى ذلك الى أن تنشأ الشباب « سودانى الجسم أجنبى العقل والروح » .

● الاسلام فى المجر :

نشر العدد العاشر من مجلة «رابطة العالم الاسلامى» التى تصدر بمكة مقالا عن « الاسلام فى بلاد المجر » وقد وضح هذا المقال أن هناك أكثر من رابط يربط المجر بالشرق الاسلامى، كما أوضح ان المجريين فى الأصل هم شعب شرقى حمل الحضارة الآسيوية الى قلب أوربا ، فقد انتقلوا من آسيا واستقروا حول نهر الدانوب وسط أوربا عام ٨٩٦ ميلادية ، واكسبهم اتصالهم بالشرق الاسلامى مميزات كثيرة اجتماعية واقتصادية وأنه لا يزال فى المجر أسماء لبعض القرى والمدن - تدل على أنها كانت فى الأصل عربية ، كما نتج عن امتزاج المجريين بالاتراك جيل جديد تاثر بالثقافتين الفارسية والعربية .

وتناول المقال بعضا من الفترات التاريخية التى مرت بها المجر ، مستدلا بها على ما كان للاسلام من نفوذ فى هذه البلاد ، ذلك انه فى القرن الثالث عشر الميلادى حين اشترك ملوك المجر فى الحروب الصليبية أصابهم الافلاس والانهيار الاقتصادى حتى صاروا يبيعون الضرائب لبعض الناس مقابل جبايتها من المزارعين ، وقام المسلمون بتحصيل هذه الضرائب ، كما اختصوا بسك النقود وانشات عدة دور لضرب المسكوكات ويقول المقال : « انه لما قاد ملك المجر « آندرة » الثانى جيشه فى الحروب الصليبية واتجه شطر سوريا الاسلامية كانت النقود التى يتعامل بها الجيش مضروبة عليها جلة « لا اله الا الله » بالخط العربى وظلت هذه النقود تتداول فى أيدى الناس بعد قرن من ضربها . ويوجد الآن منها آلاف القطع فى المتحف الوطنى فى بودابست .

وفى مرحلة تاريخية أخرى بين المقال أن العثمانيين بعد استيلائهم على مصر اتجهوا الى المجر واستولوا على جزء كبير منها ، وعلى عاصمتها «بودا» واتخذوها قاعدة عسكرية ، وتطلعوا فى نفس الوقت الى الاستيلاء على النمسا الا أنهم نزحوا عن بودابست وعن جزء كبير من بلاد المجر تاركين وراءهم فيها بعض الآثار الاسلامية .

وعلى الرغم من أن النصارى محوا كل أثر للمسلمين فى أوربا بعد أن نزح الأتراك عنها فانهم لم يستطيعوا أن يمسوا بسوء ضريح ولى مسلم فى بودابست هو « جول بابا » ، ويوجد هذا الضريح عند سفح تل يسمى « تل الورد » .

اما عن حالة المسلمين الآن فى هذه البلاد فيذكر المقال انه لم يبق منهم الا عدد قليل ، لأن أكثرهم تركها وهاجر الى تركيا بعد الحرب العالمية الأولى والثانية ، وعلى الرغم من ان المسلمين لم يبق منهم هناك الا أثر قليل فان جامعة بودابست مازالت حتى الآن تسير على تقاليدها القديمة ، من المحافظة على تدريس العلوم الاسلامية .

● من رسالة الى سارتر :

حين نشرت احدى الصحف الاسرائيلية أن سارتر الفيلسوف الفرنسى وجهت اليه اسرائيل الدعوة لحضور مؤتمر الفلاسفة الذى سيعقد فيها أرسل الدكتور سهيل ادريس رئيس تحرير « الآداب » اللبنانية رسالة الى سارتر تضمنت رأيه فى هذه الزيارة ويقول الدكتور سهيل فى رسالته التى نشرت ترجمتها فى الآداب عدد مايو ١٩٦٥ انه « من الصعب علينا ان لم نقل من المحال ان نصدق النبأ الذى نشر فى صحيفة اسرائيلية والذى يقول ان من المنتظر أن يحضر مؤتمر الفلاسفة الذى يعقد فى اسرائيل فى ٤ نيسان (ابريل ١٩٦٥) ثم قال « ان الشعب العربى أصبح حساسا بكل ماله صلة من قريب أو بعيد بقضية فلسطين .. ثم وضح لسارتر ان زيارته اذا تمت لاسرائيل فانها « يمكن أن تخلق أصداء

مؤسفة فى نفوس مائة مليون عربى » وقال : « ان أصل العلاقة التى تشد القارىء العربى الى آثاركم ، انما هو احترام عميق لفكركم الحر ، وشخصيتكم ، وموقفكم من قضية العرب فى الجزائر ، ومساندتكم لجميع القضايا الكبيرة العادلة .

ان الشعب العربى قد كان ضحية ظلم لا شبيه له فى التاريخ الانسانى ، وهو ينتظر أبدا بنفاذ صبر حلا لهذه القضية التى تثقل أكثر فأكثر على الضمير العالمى » .

وأعلن الدكتور سهيل فى نهاية خطابه انه لم يتلق ردا على رسالته ، ويقول : « لكن من المؤكد أن سارتر لم يزر اسرائيل ولم يحضر مؤتمر الفلاسفة الذى عقد فى ٤ ابريل .

● مجلات وزارة الثقافة :

نشرت جريدة « الجمهورية » فى عدد ٦ مايو ١٩٦٥ حديثا أدلى به الدكتور « زكى نجيب محمود » تناول فيه كثيرا من القضايا الأدبية التى تشغل بال الأدباء والنقاد فى هذه الفترة ، فأجاب الدكتور زكى عن الحديث الذى يثور فى هذه الأيام حول مجلات وزارة الثقافة ، اذ أن بعض النقاد يتهمونها بأنها لاتواكب حركة تطور واقعنا ، وقد رد الدكتور على ذلك بقوله

« للناقدين أن يقولوا ما يشاءون ، ولكننى أعتقد أن كثيرا مما ينشر فى هذه المجلات يفيد قارئه ، خصوصا القارىء الشاب الذى لا يزال فى مرحلة من العمر والثقافة يريد أن يتزود بحصيلة من الأفكار القديمة والحديثة والموافقة والمعارضة .

ان هذه المجلات لو قصرت نفسها على واقعنا وحده لقتلت واقعنا بدل أن تحييه ، لأن كل كائن حى انما هو حى بما يأتيه من خارجه ، مضافا الى ما ينبع من داخله » .

ومثل لذلك بقوله : « كيف أحيا اذا لم أستنشق الهواء الذى حولى فأدخله داخل جسدى على شرط أن تكون عندى الرئتان السليمتان اللتان تأخذان ما تأخذان من الهواء ، ثم تزفران ماتزفرانه .

ولم يقل أحد : لماذا لا تقصر الرئتان على الجزء الصالح لهما فقط . ان واقعنا هو جزء ممتد يملأ العالم كله .. واننا لنرى هذا التشابك فى حياتنا الاقتصادية وفى حياتنا السياسية ، ولابد أن نراه كذلك فى حياتنا الفكرية .

« محمد العوانى »

من أغانى السد العالى

للشاعر : محمد مصطفى الماحى

أذن الفجر فقمنا للنضال
وبدأنا الزحف فى ركب جبال
وملأنا السهل عزما والجبال
ووثبنا وتحدينا المحال
وصنعنا السد يزرى بالخيال
شامخا كالطود كالليث العنيد

سال الجن عن السر الرهيب
عن بناء جاء من سحر عجيب
مصرف للماء للنيل الحبيب
قد أحال الارض من قفر جديب
لجنان بشذا عرف وطيب
وبدت تختال فى الثوب القشيب
وبه تعتز بالعهد الجديد

أنت يا **جبار يا رمز الاباء**
تتحدى فى خطاك الكبرياء
جئت بالنعمى فمن خصب ومـاء
كيف يا جبار تزجى الكهرباء
أنت رمز الحق والعزم الأكيد

سطر التاريخ سطرا بالذهب
وبنى للمجد صرحا وكتب
يا بناء فاض خيرا ووهب
انت يا جبار تأتى بالعجب
أنت للتاريخ والرأى الرشيد

ذراعان

قصة بقلم : محمد أبو المعاطي أبو النجا

تباعا كانت الأضواء الهادئة تختفي في حديقة سينما الكرنك ، وهبت نسمات رقيقة اهتزت لها الأشجار التى تصنع سورا أخضر حول الصالة يخفي وراءه السور الحجرى الحقيقي ، واهتزت خلالها تلك المصابيح الملونة التي كانت ترسل ضوءا لا يتجاوز المشى المجاور لها ، قبل أن يســود الظلام صالة العرض .

خف قليلا احساس بحرارة الجو ، الجريدة المصورة تطوف حول خلجان العالم وتصف كيف يصيدون الاسماك بينمـــا تحجب قامات الذين يبحثون عن مقاعد خالية صورة السفينة الضخمة التى يركبها الصيادون ، المقاعد حول لا تزال خاليــة ولن يمر وقت طويل حتى تمتلىء ، وأحرم من تلك الجلســة التى أمد فيها قدمي وذراعي بحثا عن نسمة عابرة ، قائد السفينة يشبه كثيرا أستاذ التاريخ الذى دفعتنى محاضراته الى هذا المكان ، بعد ان ظللت أستذكرها طوال النهار ، أستاذ التاريخ يختفي ، والرحلة حول العالم تمتد ، والمقاعد تمتلىء ، وبجوارى تجلس فتاة كانت تتقدم الأسرة الصغيرة التى احتلت المقــاعد الاربعة عن يميني ، كان من الضرورى أن أعتدل فى جلستى ، خاصة وأننى أرتدى قميصا بنصف كم ، وجارتى تلبس فستانا بلا أكمام ، والمقاعد من النوع الذى يفصــل بين كل مقعدين فيه مسند واحــد ، لايتسع الا لذراع واحدة أو ذراعين صديقين !!

كانت مجرد فتاة مجهولة ، وكان وجودها بجوارى ... مجرد وجودها يعتبر مصادفة طيبة ، لاينبغى أن اغامر بفقدها ، ولهذا تعمدت الا أتصرف بطريقة تجعل جارتى تفكر فى تغيير مقعدها ، وأسعدنى أن اللحظات قد مضت دون أن تصدر الجهات المسئولة والموجودة بجوار الفتاة أى تعديل فى الاوضاع !

ومع اننى لم أحاول أن ألتفت ناحية الفتــــاة خلال هذه اللحظات فقد كنت أحس بها تتسلل الى وجودى .

المتحفظ الرزين ، كان النسيم يحمل الى عطرها الهادىء ، وصوتها الذى يشى بعمرها فى هذا الظلام بأكثر مما تستطيع ملامحها ، كان واضحا أنها تحب مغامرات « توم وجيرى » التى بدأ عرضها ، كانت تضحك من قلبها ، وتضرب الأرض بقدميها ، فأبصر رغم تحفظى شعرها وساقيها ، وأحس بهذا التحفظ وهو يهتز مع كل حركة مرحة تصدر عنها ، من المؤكد أنهـا فتاة بسيطة وطبيعية ، وأننى لم أكن أختى سوى مخـــاوفى ، ومن الطبيعى ان أتصرف ببساطة .. على الأقل مثلها وبدأت أمارس واحدا من حقوقى ... أبســــط هذه الحقوق .. أشرت الى (الجرسون) الذى كان يمر قريبــا منى ، وطلبت زجاجة « كوكاكولا » كانت فرصة مشروعة ليتحرك ذراعى من المكان الذى حددت فيه اقامته ليأخذ الزجاجة ويرتفع بها الى فمى فى مرات عديدة بطيئـــة وفى احدى المرات اصطدمت ذراعى بذراعها ، فاكتشفت لحظتها فقط أن جارتى قد اعتبرت المســــند الوحيد المشترك حقا خالصا لها فاسندت ذراعهــا اليه ، كيف لم الاحظ هذا من قبل ؟ ، لم أكن قد مارست حق الالتفات اليها بشكل كامل ، وحين وقع ذلك الصدام الذى لم يستغرق سوى لحظة عابرة تركزت حواسى كلها حول مكان الحادث ، فى انتظار قلق لرد الفعل ، ومع اللحظات الحاسمة التى تلت ذلك الصدام ، تحول الانتظــــار القلق الى شعور عميق بالراحة حين لم تستجب جارتى بما يعبر عن ضيقها بمـا حدث ، كانت الذراع الرقيقة الناعمـة لاتزال تحتل مكانها على المسند المشترك ، لاشك أنها فهمته كحادث عرضى لايعنى شيئا ، لم أعد أشك فى أنها فتاة عاقلة ، وأن ذراعها ــ وبالتحديد الجزء الذى لمسته منه ــ أرق وأنعم شىء لمسته فى حياتى ، وبدأت أحس بذلك الجزء الآخر من ذراعى الذى تلقى هذا الاحساس ، كشىء مغاير لى تمـاما ، شىء ينتمى الى ذلك الكيان الرقيق الناعم الذى يجلس بجوارى ويشيع من حوله جوا من البهجة والسعادة لا يستطيع كائن بشرى أن يقاومه . ولم أستطع أن أقاوم رغبتى فى الالتفات اليها التفاتا كاملا هذه المرة ، يستطلع ذلك العالم الذى غمرنى سحره لاشك أن هذا واحد من حقوقى أيضا . !

وفوجئت بها مشدودة الى الشاشة ، لاتكاد تحس بى ، مما ضايقنى لاول وهلة ، ولـكنه أتاح لى أن

اكتشف شيئا هاما جدا . كانت ذراعها لا تحتل من المسند المشترك سوى نصفه الخلفى ، فقد كانت تستند اليه بكوعها فقط ، بينما بقى النصف الامامى خاليا ، ومن الممكن لو تقدمت قليلا فى مقعدى أن أستند اليه دون أن يلتصق ذراعانا وحتى لو حدث ذلك فسيكون محض صدفة ٠٠ ربما لم تعرها أدنى اهتمام كسابقتها ، لماذا تبدو اللعينة كأنها لا تحس بى ؟ بينما يعذبنى الخوف من ازعاجها ، سأمارس كل حقوقى حتى لو أغضبتها ، فهذا أفضل ألف مرة من أن تبقى هكذا غير شاعرة بى !

واستندت بمرفقى على الجزء الامامى من المسند مطمئنا الى أن ثمة حاجزا من الفراغ يفصل بين ذراعينا ٠٠!

« توم وجيرى » يواصلان مغامراتهما على الشاشة فيثيران فى الصالة عاصفة من المرح ، تنساب مع نسمات الصيف التى تخرج بين العطور والضحكات والأصوات التى تفقد ملامحها فى هذا الظلام الرقيق !! ٠

وفى لحظة أحسست أن حاجز الفراغ الذى كنت أستند اليه قد تلاشى تماما ، وربما كانت عاصفة الضحك هى المسئولة عن ذلك . كانت الذراع الناعمة قد مست ذراعى فى رفق ، وأشاعت فى كيانى كله يقظة مفاجئة ، ولم يلبث حاجز الفراغ أن عاد يفصل بين ذراعينا ، ولكنه هذه المرة كان رقيقا جدا يتلاشى مع كل عاصفة مرحة يهتز لها جسد جارتى الذى أحسست به قريبا منى ! ٠٠

حتى هذه اللحظة لم أحاول أن أختلس من جارتى أية نظرة ، كنت أجلس فى مقدمة مقعدى ، وكانت تجلس فى مؤخرة مقعدها ، وكانت أية نظرة تحتاج الى أن أدير رأسى الى الوراء بشكل قد يلفت نظر الجهات المسئولة ، والواقع أننى شعرت أن علاقتنا قد انحصرت فى هذا الحاجز من الفراغ الذى أصبح يربط بين ذراعينا أكثر مما يفصل بينهما ٠!

كيف فكرت أن جارتى يمكن أن تضيق بشىء كهذا؟! صحيح انها حريصة على الا تستمر لحظة اللقاء تلك ، والا تخرج عن كونها شيئا يقع دون قصد ، وأنها دائما تسحب ذراعها الى الوراء قليلا فى كل مرة تحدث ولكن من المؤكد أنها ليست حريصة على الا تحدث ٠٠٠ فبمقدورها أن تسحب ذراعها من على المسند لو أن ذلك كان يضايقها !!

مغامرات « توم وجيرى » توشك أن تنتهى ، وعواصف المرح تهدأ ولحظات اللقاء بين الذراعين تتباعد ، وحاجز الفراغ يستعيد صلابته ولكن ٠٠٠ ولكن اللحظة الأخيرة من هذا اللقاء تبطىء ، وتفقد معناها كلحظة ٠٠ وتيار عميق وهادىء من النشوة يتسلل الى كيانى كله عبر ذلك الجزء من ذراعى التى تلتصق بعضدها ، وأصبحنا فى تلك اللحظة الممتدة صديقين !!

لست أشك فى أنها كانت تحس بى فى تلك اللحظة أكثر مما كانت تحس بأمها التى لاتكف عن الثرثرة معها ٠!

لا لم أكن فى حاجة الى أن أنظر اليها ، ولا حتى أبادلها الحديث، فهناك تفاهم عميق يوشك أن يتم بين ذراعينا ، وحتى حين بدأت تسحب ذراعها من على المسند المشترك ، مع أول ضوء لمع فى الصالة ، كان هذا السلوك جزءا رائعا من الحوار الصامت الذى بدأ بل كان أكثر الأجزاء روعة ، وكان ردى عليها أننى سحبت ذراعى أنا الآخر حتى لاترى الأم بين مقعدينا سوى الفراغ ، ولم يكن لهذا كله من معنى سوى أننا قد اهتدينا الى الكلمات الأولى فى لغة بسيطة وعميقة لن يفهمها أحد سوانا فى هذا المكان !

***

مع أننى كنت أنتظر بصبر نافد لحظة الضوء هذه لأرى كيف تبدو جارتى ، فاننى لم أتعجل النظر اليها ، كنت مستريحا لهذا التفاهم الذى تم بين ذراعينا دون كلمة أو حتى نظرة ، وكنت أحس أن الضوء قد يزيدنا تفاهما ، وأيضا قد يلغى ماوصلنا اليه . كما كنت أخشى أية نزوة قد تؤدى الى تغيير الأماكن فى فترة الاستراحة ، ولكن جارتى أعفتنى من محاولة التعقل هذه ، حين وقفت ، ودارت برأسها فى جميع الجهات تبحث عن بائع المثلجات ثم تشير اليه ، وتنحنى على أمها ، وتضحك ، وتعابث أخاها الصغير وهى تناوله زجاجة الليمون ، وخلال ذلك كله لم أكن أشك فى أنها تفحصنى ، وبطريقة عجزت أنا نفسى عن ضبطها مرة واحدة !

وفي الحقيقة انها بدت في الضوء رائعة جدا ، حتى لقد حسدت نفسي لأنني كنت منذ لحظات صديقا لهذه الفتاة الرائعة، وأن ذراعها كانت تلتصق بذراعي، لا اظنها اتمت العشرين ربيعا ، عيناها سوداوان تظللهما اهداب ثقيلة دون اية زينة ، شعرها قصير ناعم تحركه أقل اهتزازة من رأسها الذي لا يكف عن الحركة ، فتبدو في كل لحظة في صورة جديدة وجميلة معا ، فستانها غامق الزرقة يفضح بشكل حاد بشرتها الناصعة ، وينم من خلال فتحاته عن جسد بديع ، يعبر في كل حركة عن ضيقه بما يحيط به من قيود حريرية ناعمة !

ــ لم اشعر بالراحة الا بعد أن عاودت الجلوس في نفس المكان وبدأ العرض !

ــ كنت اعتبر مجرد بقائها في نفس المكان نوعا من النجاح ، ورحت أتابع العرض في هدوء لم يقلقه اكتشافي أن المسند المشترك بيننا لا يزال خاليا ، كنت أعتقد أن هذا نوع من المناورة ليس غير ، وأنه لا يجب بحال أن يسبق ذراعي ذراعها الى المسند !

ــ تبدين خائفة كأن الرجال نوع غريب من المخلوقات !

ــ هذه أول مرة أجد نفسي مع شخص مثلك ، كنت مع أبوي في منطقة صحراوية لاستخراج البترول ، وهذه أول مرة أركب فيها سفينة وأتحدث الى شاب غريب

ــ اذن فأنا أول شاب يسعده الحظ برؤية هذا الجمال ؟

ــ لست أدري كيف ينبغي أن أتصرف ، ولا ماذا أقول ؟

ــ أجمل شيء ألا يعرف الانسان ماذا ينبغي أن يفعل ؟ بل أن يفعل فقط ما يجب !

ــ أحب أن أراك ٠٠٠ وأن

ــ هنا كل ليلة سأنتظرك على ظهر السفينة !

ــ دون أن أخبر أبوي ؟

ــ لا ٠٠٠ سآتي معك الآن لنخبرهما معا !

المسند بيننا لايزال خاليا٠٠٠ ربما شغفها الحوار بين البطل والبطلة فنسيت وجودي ، وربما لم تكن هناك مناورة ، ولم يكن الحوار بين ذراعينا سوى حديث نفس واهمة ٠٠٠ بينما جارتي لاتحس بي !

« **جون وماري** » يلتقيان كل ليلة على ظهر السفينة ، ويكتشفان روعة البحر والليل والحب والحياة ، بينما يتحول المسند بيننا الى مجرد حاجز خشبي وموجة سخط هائلة تحمل ذراعي الى المسند الخالي ، واذا كانت جارتي لا تحس بي فلماذا لا استعمل حقي في هذا المسند ؟ ولتتضايق ، ولتغير مكانها فهذا أفضل من هذه اللا مبالاة التي لم أعد احتملها ٠٠!

ــ ومتى ستتزوج يا جون ؟

ــ حين أعود من تلك الرحلة التي أتسلق فيها قمة « الأنديز » ٠

ــ ليتك لا تذهب يا حبيبي !

ــ سأعود بطل العالم في تسلق الجبال !

ــ أحبك هكذا أما أنت فتحب أن تكون بطلا !

ــ لا أرضى أن تكوني زوجة لأقل من بطل !

***

آه يا عزيزتي ٠٠٠ لا ادري كيف أعتذر لك عن ظنوني القاسية ٠ صحيح أنك لا تعرفينها ، ولكن كيف أغفر لنفسي انني ظننتك لا تحسين بي ؟

كانت لحظة رائعة تلك التي أحس فيها ذراعي بذراعها يعود الى المسند المشترك ٠٠٠ يعود هذه المرة في ثقة ٠٠ عارفا مكانه ٠٠ كطائر لا يضلله الظلام عن عشه٠٠ مستريحا خلف الذراع الذي ظل ينتظر ٠٠! كانت لحظة لقاء حقيقي بين صديقين لا أحد يعرف تاريخ صداقتهما وكأنه لم يعد ثمة مجال للتردد او حتى انتظار الأسباب ٠٠!

والغريب أن لحظة اللقاء بين ذراعينا تأتي مع اللحظة التي يفترق فيها «جون وماري» في الميناء٠٠!

وفي احدى مزارع كاليفورنيا حيث استقرت أسرة « ماري » تحس بوجود « جون » في كل مكان ، فعلى المائدة لا تتحدث « ماري » مع أبويها الا عنه ، وفي الصحف لاتقرأ الا انباء المسابقة المنتظرة في تسلق الجبال ، والأزهار التي يعشقها تربى في احواض خاصة ــ تتعهدها هي ــ ليجدها حين يعود قد نمت، والمهارى الصغيرة التي يهوى ركوبها تدرب في انتظاره ، وحتى «**كلارك**» الذي يشرف على تربية الخيول في المزرعة ، والذي يكتم حبه « لماري » كما يكتم حلمه بأن يصبح كاتبا مشهورا ، يجد نفسه في النهاية ولا عمل له سوى الاستماع الى احاديث

ماري عنه . أما الرسائل التي تصــــل منه ، فقد سمعتها الطيور والأشجار والخيول في المزرعة كما سـمعتها مع جارتي ، وأحسست أن دائرة سحرية تنبعث من كلماتها الحارة لتخترق جسدينا معـا ، وتتصـل الدائرة عبر ذراعينا لتشدهما خيوط غير منظورة ، وأحس في لحظة أن ما بيني وبين جارتي ليس مجرد مصـادفة أو وهم ، ما الـذي ينبغي أن يحدث لكي يحدث الحب ، لا شيء أكثر من أن يلتقي شاب وفتاة ، ثم تخلق المبررات خلقا ، ولا أعتقد أننا في حاجة الى كلمات ، كل شيء يقع من تلقاء نفسه ، وأروع ما وصـلنا اليه أننا اكتشـفنا معا لغتنـا تلك التي لا يحسها أحد سوانا !

ربما كان هذا هو ما تفكرين فيه ٠٠ ! ها نحن معا، وبين ذراعينا مكان لا يستطيع الهواء أن ينفذ منه٠٠ وأروع الألحـان يعزفها لنا أمهر العازفين ، وكاتب لا نعرفه ٠٠٠ يعرف ما في قلبينا ، ويكشفه لي ولك ولأبويك وللناس الذين نخالطهم، ومزارع كاليفورنيا الشاسـعة الجميلة تستدرج أحلامنـا خارج حدود المكان ، والخطوة القادمة يجب أن أبدأها أنا ٠٠٠ منذ البداية كنت رائعة وبسيطة ، ولا أظنك سعيدة بي وأنا أكلم نفسي طوال الوقت ، يجب أن يحدث شيء ينتمي الى هـــذا العالم الرائع الذي أصبحنا جزءا منه ، فالحقيقة الباردة أننا لا نزال نحتمي بالظلام ، وبالمسند المشترك وبالمصادفة ! وامتدت يدي هـذه الآن لتلمس يدها في رفق وحنان ، لم أتصور لحظة أن يدها ستختلج في يدي للحظات خاطفة ـ كأنها ترددت خلالها ـ قبل أن تسحب يدها من على المسند كله ٠٠ !

لقد مـرت لحظات كنت خلالها عاجزا عن تقدير الموقف !

أي جنون قادني الى هذا السلوك ؟ كان كل شيء رائعا ٠٠ ! دون حاجة الى هذه الحماقة التي دمرت كل شيء ، كنت أحس تردد أنفاسها ! وشعرها يكاد يلمس وجهي ، وذراعها ملتصقة بذراعي ٠٠ ! ولكن كان كل شيء يبدو وكأننا غير مسئولين عنه !! أما الآن ؟

مستحيل أن يكون وهما كل ما حــــدث ! لقد أحسست أنها ترددت ، أجل ترددت قبل أن تسحب يدها من يدي ، لست واهما هذه المرة كأنها لم تفاجأ بيدي ! كأنهـا كانت تنتظرها ، وربما خشيت أن ترى أمها يدينا مشتبكتين ! يكفي أنها سحبت يدها في هدوء دون أن يشعر أحد ، ويكفي أنها لا تزال بجواري ، كانت دائمـا فتـاة عاقلة ولـكن سهول كاليفورنيا أفقدتني صوابي، وحتى في هذه السهول تقع أحداث جديدة ٠٠ !

ـ مستحيل يا بنتي أن تبقي هكذا لا تأكلين ولا تنامين لأن جون لم يعد يكتب لك ٠٠٠ وربما لم يكن جادا في علاقته بك !

من السهل أن تنسيه لو أردت ذلك !

ـ نعم يا ماما ٠٠٠ ولكني لا أريد ذلك !

ـ أنت صـــــغيرة يا عزيزتي لاتعرفين النـــاس والحياة !

ـ وأنت يا ماما لا تعرفين جون ، أنا واثقة من أنه سيعود ٠

ـ لماذا لا يكون لك بعض هـذه الثقة في نفسك وفي أبيك وفي !

وتصرخ « ماري » وهي تخرج وقبـل أن تصفق خلفها الباب :

ـ أحبه أكثر من نفسي ومنك ومن أبي !

وبلا شعور وجدتني التفت الى جارتي ، لأضبطها هذه المرة ملتفتـــة الي ولأول مرة أحس أن الدائرة السحرية تتصل من جديد ٠٠ ورغم الظلام أبصرت في عينيها الرائعتين نظرة نفذت الى قلبي ٠٠ لا ٠٠ لست واهما هذه المرة ، ولست آسفا لأن الذراع لم تعد الى مكانها ، كانت النظرة السريعة الخـــاطفة النافذة أكثر رقة وصلابة في نفس الوقت من ملمس ذراعها الناعمة ٠٠ !

وحتى حين عدنا نستمع الى الحوار كنت أحس أننا نسمعه معا ٠

ـ مكالمة خارجية لك يا ماري !

وتهرع ماري في جنـون ، لا بد أنه جون فليس في العالم الخارجي أحد سواه ٠

ـ من ٠٠٠ جون ؟

ـ لا ٠ أنا والده ، من أنت ؟

ـ ماري ، أين جون ؟

ـ يا ابنتي ٠٠! لدي أخبار لك عنه !

ـ ماذا ؟ قل ؟

ـ لقد فقد كلانا جون يا ابنتي ··· سقط من فوق الجبل ··· كان يعتزم الحضور لو انه عاد ·!

· · · · · · · · ·

· · · · · · · · ·

·· جون لن يعود اذن ·؟ لم يعد ذلك فى مقدوره فما الذى يمنعها من ان تذهب هى اليه ؟ أجل يجب ان تذهب اليه ! يجب ··! ولا ينقذها من الموت غير « كلارك » الذى لا يزال يكتم حبه لها ·!

ـ يا ابنتي يا روحى ·· لازلت صغيرة·· والزمن سيمحو جراحك وستجدين فى الحياة مسرات كثيرة·

ـ الحياة بدونه لا تساوى شيئا يا ماما !

ـ لماذا لا تفكرين لحظة فى حياة أبويك بدونك ؟ انك تريدين قتلنا يا مارى دون أن يعيد لك هذا جون !

ـ كنت يا ماما تظنينه وغدا ! يجب أن تأسفى لذلك ! الموت هو الذى منعه من المجيء ··! لا شيء غير الموت كان يؤخره !

وتلتقى نظراتنا من جديد ، كأنها على موعد ··· لا لست آسفا على هذه الحماقة ، قبلها لم يكن من حقى أن أجد فى هذه النظرات أى معنى ! أما الآن « ومارى » تمنح الحب كل هذه القداسة ، وملامح جارتى ترق وترتعش ··· وشيء ما يسقط من يدها تحت قدمى ، فتنحنى للبحث عنه ، وأنحنى معها لأعيد لها المنديل ، فتلتقى يدانا وعينانا فى لحظة ذاهلة، أحس خلالها أنها غفرت كل شيء دون كلمة·! لا لن أحلم بما هو أكثر··! يكفى أننا عدنا صديقين حقيقيين هذه المرة ··· لن أترك شيئا ما يفسد الأمور بيننا ··!

لست مستعدا لأن أخسر هذا الشعور الرائع بأن هذه الفتاة التى لا أعرف لها اسما قد عادت صديقتى ! ··

كنت أتابع مبهورا قدرة الحياة وقدرة « كلارك » على أن يأسو جراح « مارى » حين أحسست بذراع جارتى تعود الى المسند ·· ! تعود هذه المرة لتتمدد بجوار ذراعى تماما وتلتصق بها · ! ودون أن ألتفت اليها ، وعيناى مشدودتان الى الشاشة ، كانت أصابعى تمر فى رفق على يدها الوادعة المستسلمة ، وكانت ذراعانا قد تراجعتا معا ـ كأنما تحركهما ارادة واحدة ـ عن مقدمة المسند بحيث أصبحتا بيننا تماما كسر نخفيه حتى عن عيوننا ، منذ تلك اللحظة لم نتبادل نظرة واحدة !

كانت كل مشاعرنا مع السر الرقيق الذى تخفيه يدانا المرتعشتان كطائر تخشى أن يموت أو ينفلت·!

ـ ليس ما يدهشنى يا « كلارك » أنك أخفيت حبك لى منذ عرفتنى، بل أنك ظللت تحبنى رغم أنك تعرف كل شيء !

ـ ما أعرفه عنك جعلنى أحبك أكثر !

ـ لا أدرى يا كلارك كيف كانت ستصبح حياتى لو لم تكن هنا ؟ انك لم تكتف بأن تنقذنى من الموت بل أنقذت منه « جون » أيضا بعد أن كتبت عنه روايتك الرائعة ··!

وفى اللحظة التى يضم فيها كلارك مارى الى صدره، ترتعش يدانا وينفلت الطائر الذى كنا نخفيه بينهما·!

ومع أول شعاع من الضوء لمع فى الصالة ، عاد المسند المشترك مجرد حاجز خشبى ، وبرز الناس فجأة وكأنهم أتوا مع الضوء ، وبدونا وسطهم صغيرين عاجزين ، بدت المسافة الضيقة التى تفصل بيننا وكأنها وجدت لتبقى ··! كانت جارتى تقف خلف أمها ، وتسوى ملابسها ، وتتبادل معها كلمات متقطعة ، وتتحاشى النظر الى ··! وكانت المسافة التى تفصل بينى وبين جارتى تفصل بين جميع الخارجين الذين كانت تبطيء خطواتهم فجأة حتى لا يخدشوها ·· ! مرة واحدة التفتت جارتى خلفها قبل أن تغلق خلفها باب التاكسى الذى ركبته الأسرة أمام « السينما » ، كنت واقفا على الرصيف فى انتظار تلك النظرة التى كانت آخر عهدى بتلك الفتاة ·! وحتى بعد أن اختفى التاكسى فى نهاية الطريق ، وبعد أن أصبحت المسافة بيننا كبيرة جدا الى درجة لا تصدق ··! كنت أحس أنه لافرق أبدا بينها وبين تلك المسافة الضيقة التى كانت تفصل بيننا حين برز الناس فجأة !

« ابو المعاطى ابو النجا »



العدد ٩٦

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر